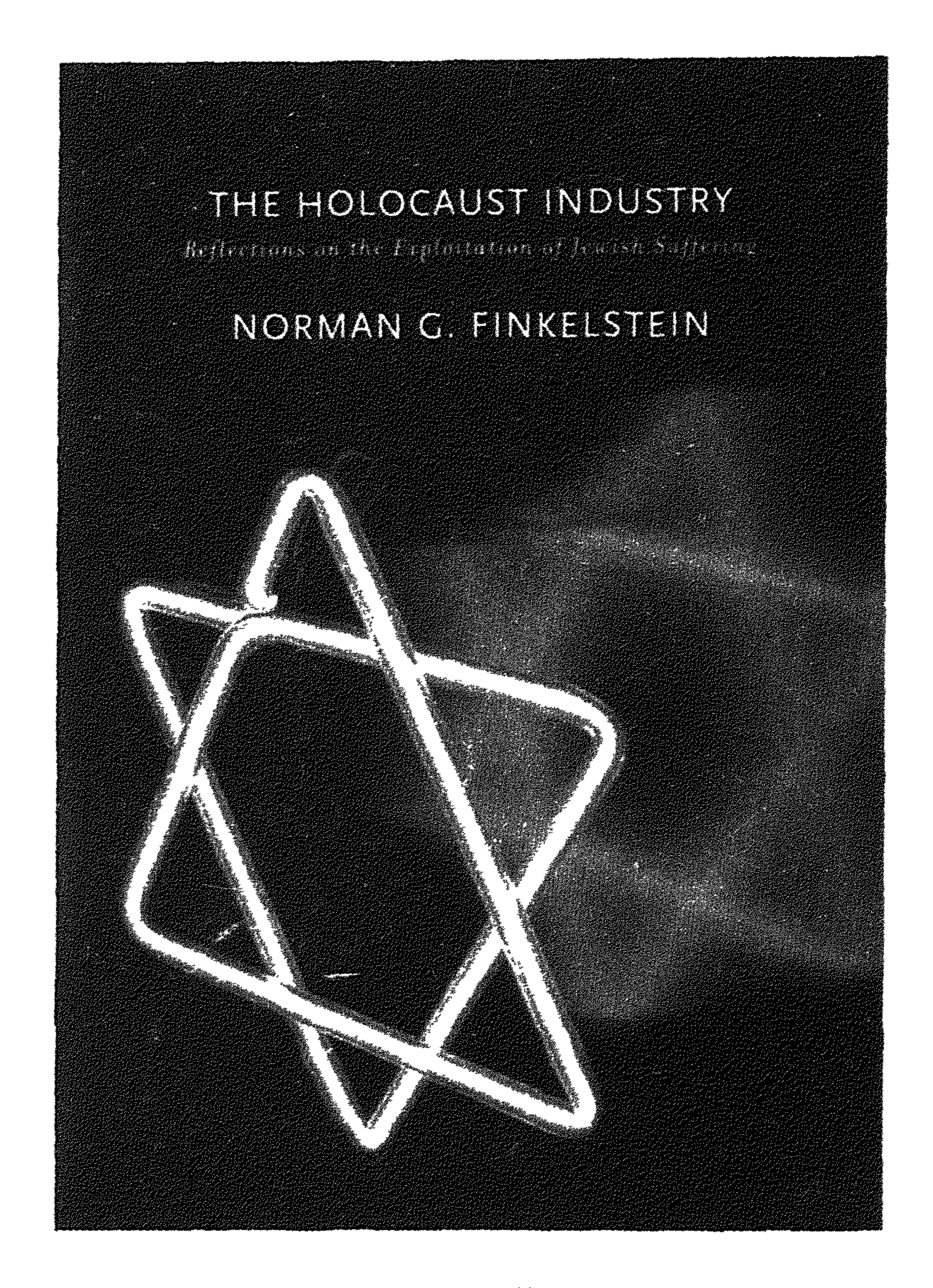
وزارة الاعلام
الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة (٨٤٢)



صناعة الهولوكوست

تأملات حول استغلال معاناة اليهود

تـــألـــيـــف : نورمان ج . فينكلشتين

اهداءات ٢٠٠٢

أ.د/اسماعيل عبد الفتاح

القاهرة

وزارة الاعلام
الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة (٨٤٢)

940.5318
F4997

صناعة الهولوكوست

تأملات حول استغلال معاناة اليهود



كتب عربى
(إهداء)
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية
رقم التسجيل ٥٧٠٢٦

تأليف : نورمان ج . فينكلشتين
ترجمة ومراجعة : سعود عطية
اشراف : منى فرغلى



نبذة عن المؤلف :

محاضر فى جامعة سيتى فى نيويورك ، ويكتب فى مجلة لندن ريفيو ، وله كتاب بعنوان « صورة وواقع الصراع الإسرائيلى - الفلسطينى ، واشترك مع روث بيتينابيرن فى تأليف كتاب : شعب فى مرحلة اختبار .. وهو من أبرز الكتب التى صدرت عام ١٩٩٨ كما وصفته مجلة النيويورك تايمز ريفيو ، ووصفه ويليام كوانت فى مجلة فورين أفيرز بأنه كتاب وثائقى جيد يثير قضايا عديدة ويحتاج إلى قراءة فى الحرب الدائرة بين المؤرخين .

مطبعة فيرسو

لندن - نيويورك



المحتويات

تصدير

أصبحت الهولوكوست صناعة رائجة فى الثقافة الامريكية ، لذلك كان لابد من القيام بفحص دقيق لاتفاقيات التعويضات لضحايا هذه الفاجعة وذلك فى دراسة نقدية متعمقة تهاجم المعتقدات السياسية التقليدية .

وقد أخذت ذكريات المحرقة (الهولوكوست) تحتل مكانة بارزة غير عادية اليوم خاصة فى أعقاب الحرب التى اندلعت بين العرب وإسرائيل عام ١٩٦٧ وأصبحت معها قوة اسرائيل تتوافق مع السياسة الخارجية الأمريكية ، وابتهج زعماء اليهود الأمريكيين عندما صارت اسرائيل تشكل رصيداً استراتيجياً كبيراً ومفيداً للولايات المتحدة ، وقام هؤلاء باستغلال الهولوكوست لتعزيز ، هذا الوضع الجديد . وقد اختلفت تفسيرات هؤلاء الزعماء اللاحقة للمأساة ، عن الأحداث التاريخية الحقيقية وأخذوا يتاجرون بها ويستخدمونها لإسكات وخنق أية أصوات قد ترتفع بالنقد لإسرائيل وأنصارها .

ويتحدث فينكلشتين عن الذين يزيفون الهولوكوست من أمثال جير زى كوينسكى وبنجامين ويلكوميرسكى وعن التفسيرات الغوغائية لمؤلفين مثل دانيال جولدهاچن ، ويقول إن الخطر الرئيسى الذى يهدد ذكرى ضحايا النازية لا ينبعث من التحريفات والتشويهات الصادرة عن الذين ينكرون الهولوكوست وإنما من الذين ينصبون أنفسهم حراساً على هذه الذكرى . واعتمد المؤلف على عدة مصادر جديدة وكشف الابتزاز المزدوج للدول الأوربية والمدعين اليهود الشرعيين واختتم كلامه قائلا : لقد أصبحت صناعة الهولوكوست خدعة وحيلة للتشويه . ومما يزيد من أهمية الكتاب عمق البحث وبراعة الأسلوب فى طرح قضايا لم تطرح من قبل .

مقدمـــــــــة

الكتـاب عبـارة عن تحليل وإدانة لصناعـة الهـولوكـوست ، وسـوف أقـول فى الصفحات التالية أن «الهولوكوست» هو تصوير إيديولوجى للهولوكوست النازية ، أى الحدث ؛ الذى ارتكبه النازيون بالفعل . ،لذلك فان شأنهـا شـأن مـعظم الإيديولوجيات ، تنطوى على صلة ، غير واضحة المعالم ،بالواقع . فالهولوكوست ليست شيئا كيفيا واعتباطيا وانما شيء يقوم على ترابط منطقى داخليا . وتسعى مبادىء ومعتقدات الهولوكوست الى تعزيز ودعم مصالح سياسية وطبقية مهمة . وقد ثبت بما لايدع مجالا للشك أن هذا المعتـقـد هو سلاح إيديولوجى لا يمكن الاستغناء عنه ، إذ عن طريق استخدام هذا السلاح قامت واحدة من أقوى الدول العسكرية فى العالم ، رغم سجلها الرهيب فى مجال حقوق الانسان ، بتصوير نفسها على أنها دولة «ضحية» ، واستطاعت أنجح الجماعات العرقية فى الولايات المتحدة وأغناها أن تكتسب وضع الضحية أيضا .وقد تحققت مكاسب كبيرة من صفة الضحية هذه ، خاصة ، الحصانة ضد النقد حتى ولو كان له ما يبرره .

ولم يفلت الذين يتمتعون بتلك الحصانة من المفاسد الأخلاقية التى تحيط بذلك عادة . ومن هذا المنطلق لم يكن أداء إيلى ويزل - المترجم الرسمى للهولوكوست - من قبيل الصدفة : فلم يصل إلى هذا المركز بسبب التزاماته الإنسانية أو مواهبه الأدبية . بل إنه يقوم بهذا الدور الرئيسى لأنه يتولى صياغة مبادىء ومعتقدات الهولوكوست وبذلك يدعم المصالح التى تقوم عليها . (١)

---

(١) للاطلاع على سجل ويزل المشين من التماس الأعذار لإسرائيل ،انظر كتاب نورمان فينكلشتين وروث بيتينابيرن : شعب فى مرحلة اختبار : أطروحة جولدهاجن والحقيقة التاريخية (نيويورك ١٩٩٨) وفى مذكراته الجديدة : والبحر لا يمتلىء أبداً (هل من مزيد)(نيويورك١٩٩٩) يقدم ويزل تفسيره غير المعقول لسكوته نحو معاناة الفلسطينيين : بالرغم من الضغط الشديد ، رفضت اتخاذ موقف علنى فى الصراع العربى - الإسرائيلى .

لقد كان الدافع المبدئى لهذا الكتاب هو الدراسة التى قدمها بيترنوفيك بعنوان : الهولوكوست فى الحياة الأمريكية ، الذى قدمت عرضا له لمجلة أدبية بريطانية (يناير ٢٠٠٠) وفى هذه الصفحات ، اتسع نطاق الحوار النقدى الذى دخلت فيه مع نوفيك، ومن هنا جاءت الإشارات العديدة لذلك فى هذه الدراسة . ونستطيع ان نرجع «الهولوكوست فى الحياة الأمريكية» إلى التقليد الأمريكى المعروف من حب التشهير باعتباره كتاباً يضم مجموعة من الأقوال الاستفزازية أكثر منه نقدا معقولا وثابتا . وعلى غرار معظم أعمال التشهير ، يركز نوفيك فقط على أشد المفاسد الفاضحة وأبرزها ، وليس هذا الكتاب نقداً جوهرياً ، ولكنه مرير ومنشط ، فالافتراضات القوية لاسبيل إلى دفعها . وليس الكتاب عاديا أو ضرب من الهرطقة ، إلا أنه موجه نحو الطرف موضع الجدل من الغالبية العظمى من الناس . وقد حظى الكتاب بالكثير من الملاحظات والتعليقات فى أجهزة الإعلام الأمريكية.

ويركز نوفيك على نقطة تحليلية محورية هى الذاكرة . وحاليا وبالرغم من الغضب فى البرج العاجى ، فمن المؤكد ان الذاكرة هى أضعف المفاهيم فى المحيط الاكاديمى منذ وقت طويل ،وبالإشارة الى موريس هالبواكس ، فهدف نوفيك هو أن يبين كيف تشكل «المخاوف الراهنة» « ذكرى الهولوكوست». فقد حدث أن قام المفكرون المنشقون بنشر مقالات سياسية قوية مثل «القوة» و «المصالح» من ناحية و«الايديولوجية » من ناحية أخرى ، وما تبقى اليوم هو لغة «المخاوف» و«الذكرى» الرقيقة البعيدة عن السياسة . ومع ذلك ، وفى ضوء الدليل الذى يستدل به نوفيك فإن ذكرى الهولوكوست عبارة عن هيكل إيديولوجى من المصالح . ويرى نوفيك ان ذكرى الهولوكوست التى اختارها ، هى فى الغالب استبدادية ، ويقول إن الاختيار لا ينبع من حساب المنافع والأضرار ، وانما من دون تفكير كبير فى العواقب ، ويوحى الدليل بنتيجة مضادة عكسية .

ولقد كان اهتمامي الأصلي بالمحرقة النازية شخصيا ، فقد كان أبواى من الذى ظلوا على قيد الحياة من غيتو وارسو ومعسكرات الاعتقال النازية ، وباستثناء أبواى فقد أباد النازيون جميع أفراد العائلة ، ولعل أقدم ذكرى عندى عن المحرقة النازية هى رؤية أمى وقد تسمرت أمام شاشة التليفزيون ترقب محاكمة أدولف إيخما عام ١٩٦١ لدى عودتى من المدرسة . وبالرغم من اطلاق سراحهم من المعسكرات قبل ستة عشر عاماً من المحاكمة ، ظلت فى ذهنى هوة واسعة لا سبيل إلى سدها تفصل بين الأبوين اللذين عرفتهما عن اللذين شاهدتهما أثناء المحاكمة .. وقد كانت صور أسرة أمى معلقة على جدران غرفة المعيشة (ولم ينج أحد من أسرة أبى من تلك الحرب) ولم أكن استطيع أن ادرك معنى صلتى بهم ، ناهيك عن أن أتصور ماذا حدث . فقد كانت الصور لشقيقات وأشقاء أمى وأبويها ، وليست صور عماتى وأعمامى وأجدادى.

وأذكر أننى قرأت وأنا طفل يافع كتاب جون هيرسى «الحائط» وكتاب ليون أوريس «١٨ ميلا» ، وهى من كتب الخيال حول ما حدث فى غيتو وارسو . (ولا أزال أذكر أمى وهى تشكو من أنها بسبب الحائط ، لم تنزل فى محطة مترو الأنفاق فى طريقها الى العمل) .. وقد حاولت جاهداً ، ولم استطع حتى للحظة واحدة ، أن أقوم بالقفزة الخيالية التى تربط أبواى ، فى كل الاحوال العادية ، بالماضى ، بصراحة ، لا زلت لا استطيع ذلك .

ولعل النقطة الأهم هى : أنه إلى جانب الوجود الوهمى ،لا أذكر أن الهولوكوست النازية قد تدخلت فى طفولتى . والسبب الرئيسى أنه لا يوجد أحد من غير أسرتى يهتم بما حدث . وكان أصدقاء طفولتى يقرأون الكثير ، ويناقشون بحماس أحداث الساعة آنذاك .. ومع ذلك ، لا أتذكر بصدق صديقا واحداً (أو والد صديق) يسأل سؤالا واحداً عما عانته أمى وتحمله أبى . ولم يكن ذلك صمت يدل على الاحترام ،

وانما هو ضرب من اللامبالاة . وفى ضوء ذلك ، لايسع المرء إلا أن يتشكك فى تدفق الأسى والكرب فى سنوات لاحقة ، بعد أن أصبحت صناعة الهولوكوست راسخة القدم .

ويتراءى لى أحيانا أن «اكتشاف» يهود أمريكا للمحرقة النازية أسوأ من نسيانها . صحيح ،أن أبواى كانا يطيلان التفكير فى الأمر عندما يخلوان بأنفسهما ، ولم تكن المعاناة التى تحملاها لها ما يبررها عند الآخرين . أليس ذلك أفضل من الاستغلال الشديد حاليا للضحايا اليهود ؟ وقبل ان تصبح المحرقة النازية الهولوكوست المعروفة حاليا نشرت عن الموضوع بعض الدراسات العلمية مثل «إبادة يهود أوروبا » لراؤل هيلبرج ومذكرات مثل « الانسان يبحث عن معنى» لفيكتور فرانكل و « سجناء الخوف » لإيلا لينجنز - رينر . وهذه المجموعة الصغيرة من الكتب الرائعة أفضل من الأرفف المتعددة التى تعج بالكتب التافهة فى المكتبات ومحلات بيع الكتب حاليا .

وبالرغم من أن أبواى كان يسترجعان الماضى حتى موتهما ، إلا انهما بنهاية حياتهما فقدا الاهتمام بالهولوكوست كموضوع عام . وكان أحد أصدقاء ابى القدامى رفيقا له فى معسكر أوشويتز ، وهو شخص مثالى يسارى رفض - حسب مبادئه - التعويضات الألمانية بعد الحرب . وقد أصبح فى نهاية المطاف مدير متحف الهولوكوست الاسرائيلى - ياد ڤاشيم . وقد اعترف ابى رغما عنه وبخيبة أمل حقيقية بأن صناعة الهولوكوست قد أفسدت حتى هذا الرجل ، الذى قام بتكييف معتقداته لكسب القوة والربح .. وبعد أن اتخذت الهولوكوست أشكالا أكثر سخفا ، كانت أمى تستشهد «بسخرية متعمدة» بمقولة هنرى فورد : « التاريخ عبارة عن هراء » . ولقد كانت حكايات الناجين من الهولوكوست ونزلاء معسكرات الاعتقال وأبطال المقاومة ، مصدراً خاصاً فى منزلى للتسلية الظريفة المشوبة بالمرارة

والسخرية. وقد أدرك جون ستيورات ميل قبل زمن طويل أن الحقائق لا تخضع للطعن المستمر ، وفى النهاية « تفقد الحقيقة تأثيرها بعد أن تتحول الى اكذوبة بسبب المبالغة » .

وكثيراً ما كان يتساءل أبواى عن سبب غضبى وسخطى من تزييف واستغلال عمليات الابادة الجماعية التى قام بها النازيون ،ولعل أوضح جواب على ذلك هو استغلال ما حدث لتبرير السياسات الإجرامية لدولة اسرائيل وتأييد الولايات المتحدة لهذه السياسات . وهناك دافع شخصى أيضا ، فأنا أهتم بذكرى اضطهاد عائلتى ، فالحملة الحالية لصناعة الهولوكوست لانتزاع الأموال من أوربا باسم «ضحايا الهولوكوست المحتاجين» قد طغت على المكانة الأدبية لاستشهادهم وحولتها الى ما يشبه كازينو فى مونت كارلو . وبالرغم من هذه المخاوف ، لازلت مقتنعا أنه من المهم الحفاظ على - والكفاح من أجل - سلامة السجل التاريخى . وسوف أقترح فى الصفحات الأخيرة من الكتاب أننا نستطيع عند دراستنا للمحرقة النازية أن نتعلم الكثير ليس عن «الالمان» او «غير اليهود» فحسب بل وعنا جميعا .. ومع ذلك أرى انه من اجل ذلك ، ولكى نتعلم حقا من الهولوكوست النازية لابد من تخفيف بعدها المادى وتعميق بعدها الاخلاقى .. ولقد استثمرت موارد عامة وخاصة كثيرة لتسجيل ذكرى الإبادة الجماعية التى قامت بها النازية وكان جل الناتج تافها ولاقيمة له ، وهذه شهادة تقدير ليست للمعاناة اليهودية وانما للتهويل اليهودى . لقد حان الوقت منذ عهد بعيد لكى نفتح قلوبنا لمعاناة الإنسانية . وهذا هو الدرس الرئيسى الذى تركته أمى . فلم أسمعها مرة واحدة تقول : لا تقارن . وكانت أمى تقارن دائما .. ولاشك أنه لابد من القيام بعمليات تمييز تاريخية غير ان القيام بتمييز أخلاقى بين «معاناتنا» ومعاناة الآخرين هو فى حد ذاته عبارة عن صورة أخلاقية زائفة . ولقد قال أفلاطون « لا تستطيع أن تقارن بين شعبين بائسين ،

وتقـول إن احدهمـا أسـعـد حـالاً من الآخر »: وفـى ضـوء آلام ومـعـاناة الأمـريكيـين الأفـارقـة والفيـتنامـيـين والفلسطينيـين : كـانت عـقـيدة أمـى دائمـا هى : نحـن كلنا ضحايا هولوكوست.

الفصل الأول
المتاجرة بالهولوكوست

اتهم جورفيدال ، نورمان بودوريتز محرر مجلة اللجنة اليهودية الأمريكية « كومنتري » فى مارس ١٩٨٦ بأنه ليس أمريكياً . وكان التراشق بينهما معروفا. واستدل على ذلك بأن بودوريتز يهتم بشئون اليهود أكثر من الحرب الأهلية الحدث المأساوى الكبير الوحيد الذى لايزال له صدى ورنين بالنسبة للجمهورية الأمريكية . ومع ذلك ربما كان بودوريتز امريكيا اكثر من فيدال ، لأن « الحرب ضد اليهود » و«ليس بين الولايات » هى التى برزت آنذاك كقضية أكثر أهمية فى الحياة الثقافية الامريكية . ويستطيع معظم اساتذة الجامعة ان يشهدوا أنه مقارنة بالحرب الأهلية كان فى وسع عدد كبير من الطلبة أن يحددوا زمن المحرقة النازية وأن يذكروا عدد القتلى . فى الحقيقة ان الهولوكوست النازية هى المرجع التاريخى الوحيد الذى يتردد فى فصول الجامعة اليوم . وتكشف استطلاعات الرأى ان عدد الأمريكيين الذين يستطيعون تعريف الهولوكوست اكبر بكثير من الذين يعرفون بيرل هاربر او إلقاء القنبلة الذرية على اليابان .

وحتى عهد قريب لم تكن المحرقة النازية تتردد كثيراً فى الحياة الامريكية . وفى الفترة مابين نهاية الحرب العالمية الثانية وأواخر الستينات تناولت هذا الموضوع بعض الكتب والافلام . وكان هناك مقرر دراسى واحد فى الجامعة فى الولايات المتحدة حول الموضوع . وعندما نشرت هانا أرينت [1] كتابها «إيخمان فى القدس » عام ١٩٦٣ ، اعتمدت فقط على بحثين أكاديميين باللغة الانجليزية – «الحل

(١) إيخمان فى القدس : تقرير حول تفاهة الشر – نيويورك ١٩٦٥ . لم يكن الوضع فى المانيا يختلف كثيراً عن ذلك. إذ ان كتاب يواقيم فيست عن سيرة هتلر الذى صدر فى المانيا عام ١٩٧٣ خصص أربع صفحات من الكتاب (٧٥٠ صفحة) لإبادة اليهود .

الأخير » لجيرالدريتلنجر [1] و « إبادة يهود أوربا » لراؤل هيلبرج. وكان كتاب هيلبرج الرائع قد استطاع ان يخرج الى حيز الوجود ويرى النور منذ فترة بسيطة . وقد دعاه مستشار رسالته بجامعة كولمبيا عالم الاجتماع اليهودى الألمانى فرانزنيومان الى عدم الكتابة عن الموضوع قائلا له : (ستكون هذه جنازتك) ولم يتقدم أى ناشر للجامعة او ناشر معروف بعرض لنشر المخطوطة الكاملة ، وحينما نشر هذا الكتاب فى النهاية ، لم يلق سوى ملاحظات قليلة معظمها ملاحظات نقدية.

لم يكن الأمريكيون عامة بل واليهود الامريكيون خاصة بما فيهم المفكرون اليهود ، يهتمون كثيراً بالمحرقة النازية . وفى استطلاع موثوق عام ١٩٥٧ ، ذكر عالم الاجتماع ناثان جليزر أن الحل الأخير النازى (وكذلك اسرائيل) لم يكن له سوى تأثير بسيط على الحياة الداخلية ليهود أمريكا . وفى ندوة نظمتها مجلة كومنترى اليهودية عام ١٩٦١ عن « اليهودية والمفكرين الشبان » أكد اثنان فقط من المشاركين وعددهم ٣١ مشاركاً تأثير المحرقة النازية ، وبالمثل ، تم تجاهل هذا الموضوع تماما فى مائدة مستديرة نظمتها مجلة اليهودية عام ١٩٦١ وشارك فيها ٢١ يهوديا امريكيا حول « قضيتى اليهودية » ولم تقم فى الولايات المتحدة أية نصب تذكارية او تقدير للمحرقة النازية ، والعكس صحيح ، عارضت كبرى المنظمات اليهودية هذا التخليد . والسؤال .. لماذا ؟

والتفسير المعتاد لذلك هو أن المحرقة النازية انزلت الاذى باليهود ولذلك فقد طمست ذكراها . فى الواقع لا يوجد دليل يدعم هذا الاستنتاج . ولاشك فى أن بعض الذى نجوا من المحرقة لم يرغبوا انذاك او فى سنوات لاحقة فى الحديث عما

---

(١) كانت نوعية الأفلام المعدودة عن المحرقة النازية جيدة . ويشير فيلم ستانلى كرامر «الحكم فى نورمبرج» (١٩٦١) الى قرار قاضى المحكمة العليا اوليفر ويندل هولمز ١٩٢٧ الذى يبيح تطهير «غير اللائقين عقليا» بأنه نذير ببرامج النازية لتحسين النسل ، والى ثناء تشرتشل على هتلر عام ١٩٣٨ ، وتسليح هتلر من قبل رجال الصناعة الامريكيين ، وتبرئة المحكمة العسكرية الامريكية لرجال الصناعة الالمان بعد الحرب.

حدث . ولكن كان هناك كثيرون آخرون يودون الكلام ، وحينما جاءت الفرصة ، لم يتوقفوا عن الكلام وكانت المشكلة هى أن الأمريكيين لم يرغبوا فى الإنصات .

ولقد كان السبب الحقيقى وراء الصمت العام إزاء الإبادة النازية هو السياسات الملتزمة لزعامة يهود امريكا والمناخ السياسى فى أمريكا مابعد الحرب . وفى الشئون المحلية والدولية كانت الصفوة اليهودية الأمريكية (أى كبار الشخصيات فى الحياة التنظيمية والثقافية لليهود) تلتزم تماماً بالسياسة الامريكية الرسمية ، وقد سهل ذلك لها تحقيق الأهداف التقليدية للذوبان فى المجتمع والوصول إلى السلطة .. ومع بداية الحرب الباردة ، قفزت غالبية المنظمات اليهودية إلى النزاع . و«نسيت» هذه الصفوة المحرقة النازية لأن المانيا - المانيا الغربية عام ١٩٤٩ - اصبحت حليفا قويا مهما لامريكا بعد الحرب فى المواجهة الامريكية مع الاتحاد السوفيتى . ولم يكن نبش الماضى مفيداً او نافعا ، بل اسهم فى تعقيد الأمور .

ومع بعض التحفظات (التى سرعان ما تم نبذها) أيدت المنظمات اليهودية الامريكية الكبرى مع دعم أمريكى إعادة تسليح المانيا وتخليصها من النازية. وخافت اللجنة اليهودية الأمريكية من أن تؤدى « اية معارضة منظمة من جانب يهود امريكا للسياسة الخارجية الجديدة والموقف الاستراتيجى ، الى عزلهم فى نظر الغالبية غير اليهودية وتهديد انجازاتهم على الصعيد المحلى » ، لذلك كانت أول من ينادى بفضائل ومزايا اعادة التنظيم . وتخلى المؤتمر اليهودى العالمى المؤيد للصهيونية وفرعه الامريكى عن معارضته بعد ان وقع اتفاقيات التعويضات مع المانيا فى اوائل الخمسينات ، بينما كانت رابطة مناهضة التشهير أول منظمة يهودية كبرى ترسل وفداً رسمياً إلى المانيا عام ١٩٥٤ . وتعاونت هاتان المنظمتان مع حكومة بون لاحتواء موجة «المعاداة لألمانيا » فى الشعور الشعبى اليهودى .

وكان الحل النهائى موضوعا محرما عند الصفوة اليهودية الأمريكية لسبب آخر .

ولم يتوقف اليهود اليساريون عن ترديده مع انهم عارضوا التحالف مع المانيا ضد الاتحاد السوفيتي في فترة الحرب الباردة . وكانت عملية تذكر المحرقة النازية تعتبر قضية شيوعية . ونظراً لربط اليهود باليسار - فقد كان اليهود يمثلون ثلث الناخبين الذين ايدوا مرشح الرئاسة التقدمي هنري والاس عام ١٩٤٨ - لم تحجم الصفوة اليهودية الامريكية عن التضحية بإخوانهم اليهود على مذبح المعاداة للشيوعية . وقدمت اللجنة اليهودية الامريكية ولجنة معاداة التشهير ملفاتها عن المخربين اليهود الى الهيئات والجهات الحكومية وتعاونتا بنشاط مع حملة المطاردة التي شهدها عصر مكارثي . ووافقت اللجنة اليهودية الامريكية على عقوبة الإعدام لروزنبرجز ، بينما نشرت المجلة الشهرية كومنترى في افتتاحيتها تقول ان روزنبرجز لم يكن يهوديا حقا .

وخوفا من ربطها باليسار السياسي في الداخل والخارج ، رفضت غالبية المنظمات اليهودية التعاون مع الديمقراطيين الاشتراكيين الالمان المعادين للنازية وعارضت مقاطعة المنتجات الألمانية والمظاهرات العامة ضد النازيين السابقين الذين كانوا يطوفون الولايات المتحدة . ومن ناحية اخرى ، تعرض كبار المنشقين الألمان الذين يزورون الولايات المتحدة مثل الراهب البروتستانتي مارتن نيمولر ، الذي امضى ثمان سنوات في معسكرات الاعتقال النازية وهو يعادي الآن الحملة المضادة للشيوعية ، للتشهير والطعن من قبل زعماء اليهود الأمريكيين . وحرصا منهم على تعزيز موقفهم المعادي للشيوعية ، كانت الصفوة اليهودية تنصت ، بل وتدعم ماليا ، المنظمات المتطرفة اليمينية مثل مؤتمر جميع الامريكيين لمناهضة الشيوعية ، ولم تهتم بدخول قدامى جهاز الاستخبارات النازية الى الولايات المتحدة .

وقد حرصت المنظمات اليهودية الامريكية على التقرب من الصفوة الحاكمة في الولايات المتحدة والابتعاد عن اليسار اليهودي ، لذلك كانت تشير الى المحرقة

النازية فى نطاق خاص واحد : التنديد بالاتحاد السوفيتى . وجاء فى مذكرة سرية داخلية للجنة اليهودية الامريكية أشار اليها نوفيك : اتاحت السياسة السوفيتية (المعادية لليهود) فرصا لا ينبغى إغفالها لدعم بعض جوانب البرنامج المحلى للجنة، وهذا يعنى عادة ربط الحل النهائى النازى بالعداء للسامية عند الروس . وتنبأت مجلة كومنترى : سوف ينجح ستالين فيما فشل فيه هتلر : « سوف نبيد يهود وسط وشرق أوروبا » وهذا يتشابه تماما مع سياسة الإبادة عند النازية . واستنكرت كبرى المنظمات اليهودية الامريكية الغزو السوفيتى للمجر عام ١٩٥٦ ووصفته بأنه « المحطة الأولى فى الطريق إلى أوشريتز روسية »

ومع حرب يونيو عام ١٩٦٧ بين العرب واسرائيل تغير كل شىء ، ووفقا لكافة المقاييس اصبح الهولوكوست شيئاً ثابتا فى الحياة اليهودية الامريكية بعد هذه الحرب فقط . والتفسير المألوف لهذا التحول هو أن العزلة الشديدة لإسرائيل وتعرضها للخطر ابان حرب يونيو أعاد للأذهان ذكريات الإبادة النازية وهذا التحليل يشوه حقيقة علاقات القوة فى الشرق الاوسط آنذاك وطبيعة العلاقة التى اخذت تبرز بين الصفوة اليهودية الامريكية واسرائيل . ومثلما فعلت غالبية المنظمات اليهودية الأمريكية فى عدم التركيز على أهمية المحرقة النازية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية لكى تتوافق مع أولويات الحكومة الامريكية فى الحرب الباردة ، ظل موقفها نحو اسرائيل متمشيا مع السياسة الأمريكية . ومنذ البداية كانت لدى الصفوة اليهودية الأمريكية شكوك عميقة نحو قيام دولة يهودية ، وكان هناك خوفها من إثبات تهمة «الولاء المزدوج» . وقد تزايدت هذه المخاوف مع ازدياد حدة الحرب الباردة .. وقبيل تأسيس دولة اسرائيل ، أعرب زعماء يهود أمريكا عن قلقهم من انضمام قيادتها اليسارية الاوروبية الشرقية الى المعسكر السوفيتى . وعلى الرغم من ان المنظمات اليهودية الامريكية احتضنت بالفعل الحملة الصهيونية

لإقامة دولة ، إلا انها راحت ترقب وتتكيف مع الإشارات الصادرة عن واشنطن. وبالفعل أيدت اللجنة اليهودية الامريكية إنشاء إسرائيل خوفا من حملة داخلية ضد اليهود إذا لم تتم عملية توطين المشردين اليهود فى أوربا بسرعة. وبالرغم من ارتباط اسرائيل بالغرب بعد قيام الدولة ، حافظ الكثيرون من الإسرائيليين - داخل الحكومة وخارجها - على تعاطفهم مع الاتحاد السوفيتى ، واتخذ زعماء يهود أمريكا موقفا متحفظا مع اسرائيل .

ومنذ قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ وحتى حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، لم يكن لها وجود قوى فى التخطيط الاستراتيجى الأمريكى . وحينما كانت الزعامة اليهودية فى فلسطين تستعد لإعلان الدولة عمد الرئيس ترومان إلى المراوغة وأخذ يزن الاعتبارات الداخلية (أصوات اليهود) فى مواجهة تحذير وزارة الخارجية من أن تأييد قيام دولة يهودية سوف يثير غضب العالم العربى. ولضمان المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط قامت حكومة أيزنهاور بموازنة تأييدها لإسرائيل وتأييدها للدول العربية ، ومالت إلى صالح العرب .

ووصل الصدام المستمر بين إسرائيل والولايات المتحدة حول قضايا السياسة ذروته فى أزمة السويس عام ١٩٥٦ عندما تواطأت اسرائيل مع بريطانيا وفرنسا للهجوم على زعيم مصر الوطنى جمال عبد الناصر . وبالرغم من ان انتصار اسرائيل الساحق واستيلائها على شبه جزيرة سيناء لفت الانظار إلى قوتها الاستراتيجية ، كانت الولايات المتحدة تعتبرها واحدة من بين الأرصدة الإقليمية العديدة . ولذلك ، فرض الرئيس أيزنهاور انسحاب اسرائيل الكامل وغير المشروط تقريبا من سيناء . وفى خلال الأزمة ، أيد زعماء يهود أمريكا بصورة موجزة الجهود الاسرائيلية لانتزاع تنازلات من امريكا ، ولكن فى النهاية ، كما يذكر أرثر هيرتزبرج ، فضلوا دعوة اسرائيل الى الإنصات لأيزنهاور بدلا من معارضة إرادة زعيم الولايات المتحدة .

وقد اختفت اسرائيل عمليا من حياة يهود أمريكا عقب تأسيس الدولة باستثناء مناسبات جمع التبرعات .وفى الحقيقة ، لم تكن اسرائيل مهمة ليهود امريكا ، ويقول ناثان جليزر فى دراسة له عام ١٩٥٧ « لقد كان تأثير اسرائيل بسيطا على الحياة الداخلية ليهود امريكا ، ولم تكن اسرائيل تعنى شيئاً لليهود الامريكيين .. والفكرة التى تقول ان اسرائيل تستطيع بصورة قوية ان تؤثر على اليهود فى امريكا هى ضرب من الوهم . وقد هبط عدد الأعضاء فى المنظمة الصهيونية الامريكية من مئات الآلاف عام ١٩٤٨ إلى عشرات الآلاف فى الستينات . وقبل يونيو عام ١٩٦٧ لم يهتم سوى واحد من كل عشرين يهودى امريكى بزيارة اسرائيل . وفى إعادة انتخاب أيزنهاور عام ١٩٥٦ الذى جاء عقب إرغامه اسرائيل على الانسحاب المشين من سيناء مباشرة ، زاد التأييد اليهودى له . وفى مطلع الستينات ، واجهت إسرائيل نقدا ولوما من بعض أعضاء الطبقة اليهودية الراقية مثل جوزيف بروسكوير الرئيس السابق للجنة اليهودية الامريكية ، واوسكار هاندلن ، المؤرخ بجامعة هارفارد ، والواشنطن بوست التى يمتلكها اليهود ، وذلك بسبب اختطاف ايخمان . وقال إريك فروم : « إن اختطاف إيخمان عمل من أعمال مخالفة القانون وهو يشبه التهمة التى توجه للنازيين انفسهم » .

وقد برهن المثقفون اليهود الامريكيون ، على صعيد السياسة ، على عدم اهتمامهم بمصير اسرائيل . ولم يذكر اسم اسرائيل كثيراً فى الدراسات والبحوث على الساحة الفكرية اليهودية الحرة اليسارية فى نيويورك طوال فترة الستينات . وقبيل حرب يونيو ، نظمت اللجنة اليهودية الامريكية ندوة عن « الهوية اليهودية هنا والآن » وأشار ثلاثة فقط من ٣١ من أفضل العقول فى المجتمع اليهودى الى اسرائيل ، وفعل اثنان منهم ذلك لإنكار اهميتها . ومن السخرية ان اثنين من المثقفين اليهود المعروفين أقاما صلة مع اسرائيل قبل يونيو عام ١٩٦٧ هما هانا أرينت وناعوم شومسكى .

ثم جاءت حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، وانبهرت الولايات المتحدة بقوة اسرائيل الكبيرة فسارعت إلى اعتبارها رصيدا استراتيجياً لها (وقبل حرب يونيو مالت الولايات المتحدة بحذر الى جانب اسرائيل لأن الحكومتين المصرية والسورية انتهجتا مسارا مستقلا بصورة متزايدة فى منتصف الستينات) . وبدأت تتدفق المساعدات العسكرية والاقتصادية على اسرائيل التى تحولت إلى وكيلة للنفوذ الامريكى فى الشرق الاوسط .

وكان انصياع اسرائيل للقوة الأمريكية شيئا غير متوقع ومفاجيء عند الطبقة الراقية اليهودية الأمريكية . فقد انطلقت الصهيونية من المقولة القائلة ان الذوبان فى المجتمع أمل كاذب ، وأن اليهود يعتبرون دائما غرباء غير مخلصين فى ولائهم. وسعى الصهاينة من أجل حل هذه المعضلة إلى إنشاء وطن لليهود . وقد زاد إنشاء اسرائيل من حدة هذه المشكلة وتفاقمها ، بالنسبة ليهود المهجر ؛ وقد أدى ذلك إلى تثبيت تهمة الولاء المزدوج . وعلى النقيض من ذلك ، وبعد حرب يونيو عام ١٩٦٧ ساعدت اسرائيل على الذوبان فى الولايات المتحدة : فقد وقف اليهود على الخطوط الأمامية للدفاع عن أمريكا أى « الحضارة الغربية » ضد الجحافل العربية المتخلفة . وبينما كانت اسرائيل تخشى من تهمة الولاء المزدوج قبل عام ١٩٦٧ ، اصبحت تمثل الآن قمة الولاء (السوبر) خاصة وأن الاسرائيليين وليس الامريكيون ، هم الذين يحاربون ويموتون فى سبيل المصالح الامريكية . وعلى خلاف الجنود الامريكيين فى فيتنام ، لم يتعرض المحاربون الاسرائيليون للإذلال والمهانة على يد المبتدئين من العالم الثالث .

وفجأة اكتشفت الصفوة اليهودية الامريكية اسرائيل . وجاء الاحتفال بالنصر العسكرى الاسرائيلى بعد حرب عام ١٩٦٧ لأن مدافع اسرائيل كانت مصوبة فى الاتجاه الصحيح ، ضد اعداء امريكا ، وقد ساعدت القوة الحربية اسرائيل على دخول

المراكز السرية للسلطة الامريكية. وفى الماضى كانت الطبقة اليهودية الراقية تقدم بعض القوائم عن المخربين اليهود ، أما الآن ، فقد أصبح أفراد هذه الطبقة هم الناطقون الطبيعيون باسم احدث حليف استراتيجى لأمريكا ، ومن مجرد القيام بدور صغير ، قفز هؤلاء إلى القمة فى دراما الحرب الباردة . ولذلك أصبحت اسرائيل رصيداً استراتيجياً ليهود امريكا وللولايات المتحدة أيضا .

ويقول نورمان بودوريتز - فى مذكراته التى نشرت قبيل حرب يونيو - انه حضر عشاء رسميا فى البيت الابيض « لم يكن فيه شخص واحد غير سعيد ومسرور بوجوده فى تلك المناسبة . وقد تضمنت مذكراته - باعتباره رئيس تحرير المجلة اليهودية الامريكية الكبرى « كومنترى » - إشارة عابرة واحدة لإسرائيل . فما الذى يمكن لإسرائيل ان تقدمه (ليهودى) أمريكى طموح ؟ ويذكر بودوريتز فى مذكرات لاحقة ان اسرائيل اصبحت عقب حرب يونيو عام ١٩٦٧ « عقيدة يهود أمريكا » . ويفتخر بودوريتز الآن وهو من كبار مؤيدى اسرائيل بأنه لم يحضر مأدبة عشاء فى البيت الابيض فحسب بل تجاذب اطراف الحديث مع الرئيس بشأن المصلحة الوطنية .

وفى أعقاب حرب يونيو عام ١٩٦٧ عملت كافة المنظمات اليهودية الامريكية من دون كلل أو ملل على تثبيت التحالف الأمريكى - الإسرائيلى . وبالنسبة لرابطة مكافحة التشهير ، تضمنت هذه الجهود عملية استطلاع محلية شاملة وواسعة بالاشتراك مع مخابرات اسرائيل وجنوب افريقيا . وزادت تغطية اخبار اسرائيل فى النيويورك تايمز زيادة كبيرة بعد يونيو عام ١٩٦٧ . وكانت التغطية لاسرائيل فى فهرس النيويورك تايمز فى عامى ١٩٥٥ و١٩٦٥ تملأ حوالى ٦٠ عامود/ بوصة ، ثم ارتفع الرقم عام ١٩٧٥ إلى ٢٦٠ عامود / بوصة . ويذكر ويزل عام ١٩٧٣ : حينما كنت ارغب فى الشعور بالارتياح ، أرجع إلى أخبار إسرائيل فى النيويورك تايمز . وعلى غرار بودوريتز ، وجد عدد كبير من غالبية المثقفين اليهود

الامريكيين فجأة «عقيدة» لهم بعد حرب يونيو . ويقول نوفيك إن لوس داڤيد وفيتز ، عميدة آدب الهولوكوست ، كانت من أشد نقاد اسرائيل ذات يوم . وقالت بألفاظ جارحة انه ليس بوسع إسرائيل أن تطلب تعويضات من المانيا وهى تتجنب تحمل المسئولية تجاه الفلسطينيين المشردين . ولايمكن للأخلاق ان تكون بهذه الدرجة من المرونة والتساهل . ولكن عقب حرب يونيو مباشرة اصبحت داڤيد وفيتز من المتحمسين لنصرة اسرائيل واعتبرتها نموذجا للصورة المثالية لليهودى فى العالم الحديث .

وكان الموقف المفضل للصهيونيين الذين ولدوا من جديد بعد عام ١٩٦٧ هو تشبيه تأييدهم الصريح لإسرائيل المحاصرة ضد الرغبة القوية والحماس الشديد ليهود امريكا اثناء الهولوكوست . لقد كان هؤلاء يفعلون ما فعلته دائما الطبقة الراقية اليهودية الأمريكية : السير جنبا إلى جنب مع السلطة الامريكية ، وبرهنت الطبقات المتعلمة على خبرتها ومهارتها فى اتخاذ مواقف بطولية . ولننظر إلى موقف الناقد الاجتماعى الليبرالى اليسارى المعروف إيرفنج هوى ، فقد ندد المجلة التى كان يحررها بعنوان « ديسنت - المنشق » عام ١٩٥٦ بالهجوم المشترك على مصر ووصفته بأنه « لا أخلاقى » وبالرغم من أن إسرائيل كانت وحيدة ، فقد وجه اليها اللوم بسبب «التعصب الثقافى» و « الشعور شبه المثالى بالمصير الواضح » و«الاتجاه الخفى للتوسع» . وفى أعقاب حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ ، عندما بلغ التأييد الأمريكى لاسرائيل الذروة ، نشر هوى بيانا شخصياً « حافلا بالقلق البالغ» دفاعا عن اسرائيل المنعزلة ، وقال فى مقطوعة ادبية ساخرة على غرار وودى ألين ، لقد ملأ العداء للسامية العالم غير اليهودى ، وتحسر على أنه فى منطقة مانهاتان العليا لم تعد اسرائيل أنيقة وعصرية ، فالجميع ، عداه هم من انصار ماو وفانون وجيفارا .

لم تنج اسرائيل من النقاد باعتبارها رصيداً استراتيجياً لأمريكا ، والى جانب اللوم الدولى المتزايد لرفض اسرائيل التفاوض لإيجاد تسوية مع العرب حسب قرارات الأمم المتحدة وتأييدها الشديد لأطماع امريكا فى العالم ، كان على اسرائيل أن تتكيف مع الانشقاق داخل امريكا . وأعلن ما يسمى بأنصار العرب فى الدوائر الحاكمة فى أمريكا أن المراهنة بكل شىء على اسرائيل مع تجاهل الصفوة العربية قد هدم المصالح الوطنية الامريكية .

وذكر البعض أن انصياع إسرائيل للنفوذ الأمريكى واحتلالها للدول العربية المجاورة ليس خطأ من حيث المبدأ فحسب بل وضاراً بمصالحها .. وسوف تزداد اسرائيل ميلا للتسلح والعسكرية وبعداً عن العالم العربى . ومع ذلك ، وبالنسبة لأنصار اسرائيل الجدد من اليهود الأمريكيين ، فإن هذا الكلام يصل إلى حد الهرطقة والنفاق : لا قيمة لإسرائيل مستقلة تعيش فى سلام مع جيرانها ، ويعتبر ارتباط اسرائيل بالتيارات السائدة فى العالم العربى والسعى إلى الاستقلال عن الولايات المتحدة ، كارثة . ولابد من قيام دولة مثل سبارطة اسرائيلية تدين بالفضل للسلطة الامريكية ، وهذا هو المطلوب لأنه فى هذه الحالة يستطيع زعماء يهود أمريكا أن يقوموا بدور الناطقين بلسان الطموحات والأطماع الاستعمارية الأمريكية. واقترح ناعوم شومسكى ان يطلق على « أنصار إسرائيل هؤلاء أنصار الانحطاط الأخلاقى والدمار النهائى لإسرائيل ».

ومن أجل حماية رصيدها الاستراتيجى تذكرت الصفوة اليهودية الامريكية الهولوكوست والتفسير التقليدى هو أنها قامت بذلك لاعتقادها ، أثناء حرب يونيو، أن اسرائيل تواجه خطراً قاتلا لذلك تنتابهم مخاوف حدوث « هولوكوست آخر » وهذا الادعاء لا يصمد امام الفحص الدقيق .

دعونا ننظر إلى الحرب الأولى بين العرب واسرائيل ، فقد كان الخطر ليهود

فلسطين عشية الاستقلال عام ١٩٤٨ أشد وأقوى . وأعلن ديفيد بن جوريون إن ٧٠٠٠٠٠ يهودى يواجهون ٢٧ مليون عربى ، واحد مقابل اربعين · واشتركت الولايات المتحدة فى فرض حظر اسلحة من الأمم المتحدة على المنطقة ، مما رسخ تفوق الجيوش العربية فى السلاح . وكان يهود امريكا يخشون من حل نهائى نازى آخر · واستنكرت اللجنة اليهودية الامريكية قيام الدول العربية بتسليح التابع الامين لهتلر المفتى، بينما كانت الولايات المتحدة تنفذ الحظر على السلاح ، وتوقعت انتحارا جماعيا ومحرقة كاملة فى فلسطين .. وتنبأ وزير الخارجية الأمريكية جورج مارشال ووكالة المخابرات المركزية بهزيمة مؤكدة لليهود اذا نشبت حرب . وبالرغم من ان الجانب الأقوى هو الذى انتصر (المؤرخ بينى موريس) لم تكن الحرب نزهة بالنسبة لاسرائيل . ففى الشهور الأولى من الحرب، فى مطلع عام ١٩٤٨ ، وخاصة ان الاستقلال أعلن فى مايو أعلن يجئال يادين قائد عمليات الهاجاناه ، أن فرص بقاء اسرائيل ٥٠٪ · ولولا صفقة سلاح تشيكية سرية لما عاشت اسرائيل · وبعد القتال لمدة عام ، تكبدت اسرائيل ٦٠٠٠ قتيل اى ١٪ من عدد سكانها ، فلماذا لم يصبح الهولوكوست محورا لحياة يهود امريكا بعد حرب عام ١٩٤٨ ؟

وسرعان ما برهنت اسرائيل انها اقل تعرضا للخطر عام ١٩٦٧ مما كانت عليه فى النضال من أجل الاستقلال . وكان زعماء امريكا واسرائيل يعلمون مقدما ان اسرائيل سوف تفوز بسهولة فى حرب مع الدول العربية . وقد أصبحت هذه الحقيقة واضحة كالشمس عندما هزمت اسرائيل جيرانها العرب فى بضعة ايام · ويقول نوفيك « كانت هناك وياللعجب بعض الإشارات الصريحة للهولوكوست فى التعبئة اليهودية الامريكية باسم اسرائيل قبل الحرب » لقد برزت صناعة الهولوكوست بعد أن أظهرت إسرائيل تفوقها العسكرى الكبير وازدهرت وسط انتصارها القوى ، ولايمكن إيجاد تفسير يوضح هذه المسائل الشاذة .

وزادت النكسات التى واجهتها اسرائيل والخسائر الكبيرة التى تكبدتها فى بداية حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ ، والعزلة الدولية المتزايدة بعدها ، من مخاوف يهود امريكا ازاء الخطر الذى يتهددها ، ولذلك اصبحت ذكرى الهولوكوست محور تفكيرهم . ويقول نوفيك : كان وضع اسرائيل المهددة والمنعزلة بين يهود امريكا مخيفا يشبه وضع يهود أوروبا قبل ثلاثين عاما .. فالكلام عن الهولوكوست لم ينطلق وينتشر فى أمريكا فحسب بل أصبح رسميا بصورة متزايدة . ومع ذلك وصلت اسرائيل إلى حافة الهاوية ، من الناحية النسبية والمطلقة ، وتكبدت من الخسائر فى حرب عام ١٩٤٨ أكثر مما تكبدته فى عام ١٩٧٣ .

وباستثناء تحالفها مع الولايات المتحدة ، لم تتمتع اسرائيل بالود والعطف من العالم بعد حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ ، ولنقارن ذلك مع حرب السويس عام ١٩٥٦ . فقد زعمت اسرائيل ويهود امريكا ، أنه عشية غزو سيناء ، كانت مصر تهدد وجود اسرائيل ذاتها ، وأن انسحاب اسرائيل الكامل من سيناء سوف يهدم بصورة مهلكة المصالح الحيوية لاسرائيل :« وجودها كدولة » ، ومع ذلك وقف المجتمع الدولى بثبات وقوة ، ومع ذلك ، يشير ابا إيبان إلى أدائه الرائع فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ويقول أنه بعد الترحيب بخطابه بالتصفيق المستمر والقوى ، صوتت الأغلبية ضدنا ، وجاءت الولايات المتحدة فى قائمة التصويت . ولم يرغم أيزنهاور إسرائيل على الانسحاب فحسب ، بل هبط التأييد العام فى امريكا لاسرائيل بصورة مخيفة (المؤرخ بيترجروز) .وعلى النقيض من ذلك ، وعقب حرب عام ١٩٧٣ زودت الولايات المتحدة اسرائيل بمساعدات عسكرية ضخمة ، اكبر مما زودتها به فى السنوات الاربع الماضية معا ، بينما كان الرأى العام الأمريكى يساند اسرائيل بقوة . وكانت هذه هى المناسبة التى انتشر فيها الحديث عن الهولوكوست فى امريكا ، فى وقت كانت فيه اسرائيل أقل عزلة مما كانت عليه فى عام ١٩٥٦ .

فى الحقيقة ، لم تصبح صناعة الهولوكوست محور الاهتمام لأن النكسات غير المتوقعة أثناء حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ والوضع المنبوذ الذى تعرضت له عقب تلك الحرب ، قد أثار ذكريات الحل النهائى .. وأقنع الأداء العسكرى المؤثر للسادات فى حرب اكتوبر الولايات المتحدة والطبقة الراقية فى السياسة الاسرائيلية انه لم يعد من الممكن منع الوصول إلى تسوية دبلوماسية مع مصر ، بما فى ذلك إعادة الأراضى المصرية التى تم الاستيلاء عليها فى يونيو عام ١٩٦٧ . ولزيادة قوة اسرائيل التفاوضية زادت صناعة الهولوكوست من حصص إنتاجها . والنقطة الحاسمة هى انه بعد حرب عام ١٩٧٣ لم تنعزل اسرائيل عن الولايات المتحدة : فقد جاءت هذه التطورات فى نطاق التحالف بين اسرائيل والولايات المتحدة الذى ظل سليما تماما . ويوحى السجل التاريخى بقوة انه لو كانت اسرائيل وحدها بعد حرب اكتوبر ، لما تذكرت الصفوة اليهودية الأمريكية المحرقة النازية أكثر مما فعلته عقب حرب عام ١٩٤٨ او حرب عام ١٩٥٦ .

ويطرح نوفيك تفسيرات إضافية أقل إقناعا . ويقول على سبيل المثال مستشهداً بأقوال العلماء اليهود الدينيين أن « حرب الايام الستة قدمت نظرية دينية شعبية عن الهولوكوست والانقاذ » وقد بدد « ضوء » نصر يونيو عام ١٩٦٧ «ظلمة» الإبادة النازية : فقد هيأت للرب فرصة ثانية . لقد برز الهولوكوست فى الحياة الامريكية عقب يونيو عام ١٩٦٧ لأن إبادة يهود اوروبا وصلت إلى نهاية ، إن لم تكن سعيدة ، فهى حية على الأقل . ووفقا للروايات اليهودية المألوفة لم يأت الخلاص نتيجة حرب يونيو وانما بسبب إنشاء الدولة . فلماذا ينتظر الهولوكوست عملية خلاص ثانية ؟ ويرى نوفيك أن «صورة اليهود كأبطال فى حرب يونيو عملت على طمس صورة الضحايا الضعفاء والسلبيين التى حالت فى السابق دون مناقشة اليهود للهولوكوست . وبالنسبة للشجاعة ، كانت حرب عام ١٩٤٨ من أسعد

لحظات اسرائيل ، وقد غطت حملة موشى ديان الجريئة والرائعة فى سيناء واستمرت ١٠٠ ساعة عام ١٩٥٦ ، على الانتصار السريع فى يونيو عام ١٩٦٧ . ولماذا يحتاج يهود أمريكا لحرب يونيو « لطمس تلك الصورة؟ » ولم تكن رواية نوفيك عن كيفية استغلال الصفوة اليهودية الامريكية للمحرقة النازية مقنعة . ولنستعرض هذه الفقرات :

{ أخذ زعماء يهود أمريكا يسعون الى فهم الأسباب الكامنة وراء عزلة اسرائيل وتعرضها للمخاطر - الاسباب التى قد تحتاج إلى علاج - وكان التفسير الذى يحظى بأوسع تأييد هو أن تداعى ذكريات جرائم النازية ضد اليهود وظهور جيل على المسرح لايعرف شيئا عن الهولوكوست ، أدى الى خسارة اسرائيل للتأييد الذى كانت تتمتع به ذات يوم } .

{ ومع ان المنظمات اليهودية الامريكية كانت لاحول لها ولاقوة فى تغيير الماضى القريب فى الشرق الأوسط ، بل ولا تستطيع ان تؤثر على مستقبل المنطقة ، إلا انها كانت تستطيع العمل لإحياء ذكريات الهولوكوست .لذلك يطرح تفسير « الذكريات المتداعية » برنامجا للعمل }.

فلماذا اكتسب تفسير « الذكريات المتداعية » لورطة اسرائيل بعد عام ١٩٦٧ أوسع درجة من التأييد ؟ من المؤكد ان هذا تفسير غير محتمل . ويسجل نوفيك نفسه ان التأييد الذى حصلت عليه اسرائيل فى البداية لاصلة له « بذكريات جرائم النازية » . وعلى أية حال ، تلاشت هذه الذكريات قبل فترة طويلة من فقدان اسرائيل للتأييد العالمى . ولماذا لم تقم الصفوة اليهودية « إلا بالقليل للتأثير» على مستقبل اسرائيل ؟ ولاشك أنه كانت لهذه الصفوة شبكة تنظيمية قوية . فلماذا يكون إحياء ذكريات الهولوكوست هو البرنامج الوحيد للعمل ؟ لم لا نؤيد الإجماع الدولى الذى يدعو إلى انسحاب إسرائيل من الأراضى التى احتلتها فى حرب يونيو وإلى «سلام عادل ودائم» بين اسرائيل وجيرانها العرب (القرار رقم ٢٤٢ الصادر عن الأمم المتحدة) ؟

ولعل التفسير الأكثر ترابطا وان يكن الأقل قبولاً ، هو أن الصفوة اليهودية الامريكية تذكرت المحرقة النازية قبل يونيو عام ١٩٦٧ عندما كان ذلك مناسبا من الناحية السياسية ، فقد استغلت اسرائيل ، راعيتهم الجديدة ، الهولوكوست النازى اثناء محاكمة إيخمان . وفى ضوء فائدتها الثابتة استغل يهود امريكا المحرقة النازية عقب حرب يونيو ، وقد ثبت أن الهولوكوست - الشىء الجديد إيديولوجيا ذات يوم ، والذى تمت المتاجرة بها كما ذكرت - هى السلاح الكامل لدفع النقد عن اسرائيل . وهذا ما سوف أوضحه الآن . ومع ذلك ، ينبغى أن نؤكد ان الهولوكوست قام بالنسبة للطبقة الراقية اليهودية الأمريكية ، بنفس الوظيفة التى تقوم بها اسرائيل: فيشة اخرى مهمة فى لعبة قوة عالية الرهان . وكان القلق المعلن على ذكرى الهولوكوست مرسوما ومخططا شأنه شأن القلق على مصير اسرائيل ، لذا سرعان ما صفح يهود أمريكا وتناسوا الإعلان المتهور لرونالد ريجان عام ١٩٨٥ فى مقبرة بيتبورج بأن الجنود الألمان (بما فى ذلك طاقم البارجة وافن) الذين دفنوا هناك هم « ضحايا النازية مثل ضحايا معسكرات الاعتقال » وفى عام ١٩٨٨ جرى تكريم ريجان بجائزة «إنسان العام» من قبل أبرز مؤسسات الهولوكوست مركز سايمون ويزنثول على « تأييده القوى لاسرائيل» كما منح عام ١٩٩٤ جائزة «مشعل الحرية» من رابطة العداء للتشهير المؤيده لاسرائيل . (١)

وعلى أية حال لم تنس تصريحات جيس جاكسون عام ١٩٧٩ التى ذكر فيها «انه سئم من سماع الكلمات بشأن الهولوكوست » ، بل ولم تغفر له بسرعة ، ولم

---

(١) نشرت مجلة ريسبونس فى ديسمبرعام ١٩٨٨ ان كبار مروجي الهولوكوست وانصار اسرائيل مثل المدير القومى لرابطة العداء للتشهير ابراهام فوكسمان ، والرئيس السابق للجنة اليهودية الامريكية موريس ابرام ورئيس مؤتمر زعماء المنظمات اليهودية الامريكية الكبرى كينيث بياكلن - وكذلك هنرى كيسنجر- أيدوا ريجان ودافعوا عن زيارته الى بيتبرج ، بينما استضافت اللجنة اليهودية وزير خارجية مستشار المانيا الغربية هيلموت كول كضيف شرف فى اجتماعها السنوى خلال الاسبوع نفسه . وبالمثل ، قال مايكل بيرنبوم من متحف ذكرى الهولوكوست فى واشنطن فيما بعد ان رحلة ريجان هذه والتصريحات التى ادلى بها هناك هى من قبيل الشعور الساذج للتفاؤل الامريكى .

تتوقف حملات الصفوه اليهودية الامريكية على جاكسون ابداً ليست بسبب تصريحاته « المعادية للسامية » وانما لتأييده للموقف الفلسطينى (على حد قول سيمور مارتن ليبسيث وايرل راب) . وكان هناك عامل آخر فى مسألة جاكسون : كان يمثل دوائر محلية اختلفت معها المنظمات اليهودية الامريكية منذ اواخر الستينات . وفى هذه الصراعات ، كان الهولوكوست سلاحا إيديولوجيا قويا .

وقد زادت الصفوة اليهودية من المتاجرة بصناعة الهولوكوست عقب يونيو عام ١٩٦٧ ليس بسبب ضعف اسرائيل وعزلتها المزعومة والخوف من هولوكوست ثانية وانما بسبب قوة اسرائيل وتحالفها الاستراتيجى مع الولايات المتحدة . ويطرح نوفيك بصورة غير مقصودة أفضل الادلة لتأكيد هذا الاستنتاج . ويقول لإثبات ان الاعتبارات المتعلقة بالقوة وليس الحل النهائى النازى هى التى حددت السياسة الامريكية تجاه اسرائيل : « عندما كان الهولوكوست لايزال حديث العهد فى ذهن الزعماء الامريكيين ، خلال السنوات الخمس والعشرين التى اعقبت نهاية الحرب ، كانت الولايات المتحدة اقل تأييداً لاسرائيل . وقد تغيرت المساعدة الامريكية لاسرائيل من شئ هزيل إلى فيضان ليس حينما كان يعتقد انها ضعيفة ومعرضة للخطر ، وانما بعد انكشفت عن قوتها فى حرب الأيام الستة » . وينطبق هذا القول بنفس القوة على الصفوة اليهودية الامريكية .

وتوجد ايضا مصادر محلية لصناعة الهولوكوست ، وتشير غالبية التفسيرات إلى ظهور « سياسات الهوية » مؤخراً من ناحية ، و« ثقافة الضحايا » من ناحية اخرى . وبالفعل فإن كل هوية لها أساس فى تاريخ معين من الاضطهاد والقمع ، لذلك راح اليهود يبحثون عن هويتهم العرقية فى الهولوكوست .

ومع ذلك ، ومن بين الجماعات التى راحت تنتقد مسألة اضطهادها ، مثل السود وابناء امريكا اللاتينية وسكان امريكا الاصليون والنساء وغيرهم ، لم يكن اليهود

وحدهم في وضع الحرمان فى المجتمع الامريكى ، ولقد ترسخت سياسة الهوية والهولوكوست فى أوساط يهود امريكا ليس بسبب وضع الضحية وانما لأنهم ليسوا ضحايا .

وبعد سرعة انهيار حواجز العداء للسامية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، ارتقى اليهود إلى مركز الصدارة مرة اخرى فى الولايات المتحدة . ويقول ليبسيت وراب إن دخل الفرد اليهودى كان ضعف دخل غير اليهود ، ومن بين ٤٠ من اغنى اثرياء امريكا يوجد ١٦يهوديا ، و ٤٠٪ من الحائزين على جائزة نوبل الامريكيين فى العلوم والاقتصاد يهود وكذلك ٢٠٪ من اساتذة الجامعات الكبرى و ٤٠٪ من الشركاء فى اكبر مؤسسات المحاماة فى نيويورك وواشنطن ، والقائمة مستمرة ، ولم تعد الهوية اليهودية عقبة فى سبيل النجاح ، بل أصبحت إكليل النجاح . ومثلما اتخذ عدد كبير من اليهود موقفا متحفظا نحو اسرائيل عندما كانت نقطة ضعف وعادوا إلى وضعهم كصهيونيين ولدوا من جديد بعد أن أصبحت رصيدا لهم ، فقد أخفوا هويتهم العرقية عندما كانت مصدر ضعف واصبحوا يهودا جداً عندما أصبحت مصدر قوة .

وفى واقع الامر ، تثبت قصة نجاح يهود امريكا معتقدا اساسيا ، ربما الوحيد ، لهويتهم التى اكتسبوها مجدداً كيهود ، فمن يستطيع بعد ذلك ان يطعن فى مقولة ان اليهود «شعب مختار» ؟ ويقول تشارلز سيلبرمان وهو يهودى من الذين ولدوا من جديد ، فى مقال له بعنوان : شعب متميز : يهود امريكا وحياتهم اليوم :

« كان من الممكن ان يكون اليهود أقل انسانية لو تجنبوا أية فكرة عن التفوق ، ومن الصعب جداً على يهود امريكا ان يمحوا الشعور بالتفوق تماما مهما حاولوا كتم ذلك . ويقول الروائى فيليب روث : ان ما يرثه الطفل اليهودى الامريكى ليس قانونا ولا تعلما ولا لغة ولا ربا .. ولكن نوعا من السيكولوجية: وهذه يمكن

ترجمتها بثلاث كلمات : « اليهود هم الافضل » . وسوف نرى أن الهولوكوست هو صورة سلبية للنجاح الدنيوى الذى يتباهون به : فالهولوكوست تثبت صفة الفضل والتميز عند اليهود .

ولم يعد العداء للسامية سمة بارزة من سمات الحياة الامريكية بحلول السبعينات . ومع ذلك ، شرع زعماء اليهود يدقون أجراس الإنذار بان يهود امريكا يتعرضون للتهديد بموجة جديدة خبيثة من العداء للسامية ، وشملت الملامح الرئيسية لدراسة مهمة قامت بها رابطة العداء للتشهير (بالنسبة للذين ماتوا لأنهم يهود) العرض الذى كان فى برودواى بعنوان يسوع المسيح سوبر ستار ونشرة صحفية (تابلويد) تصور كيسنجر على انه متملق ذليل وجبان ومتزلف ومستبد ومتسلق وناشر للشر ومتكبر غير واثق من نفسه وباحث عن السلطة بلا مبادىء .. وهذه مقولة أقل من الواقع والحقيقة فى ذلك الحين .

وقد ساعدت موجة الهستيريا من العداء الجديد للسامية على خدمة أغراض متعددة بالنسبة لمنظمات يهود امريكا ، فقد عززت من مركز اسرائيل كملاذ أخير إذا احتاج يهود امريكا لذلك فى يوم من الايام . وعلاوة على ذلك ، لقيت حملات جباية الاموال من قبل المنظمات اليهودية التى تسعى لمكافحة العداء للسامية ، آذانا صاغية . وكتب سارتر ذات يوم ان المعادى للسامية فى وضع بائس ، لأنه بحاجة ماسة للعدو الذى يتمنى القضاء عليه، والعكس صحيح أيضا لهذه المنظمات اليهودية ، إذ نظرا لعدم وجود عداء واسع النطاق للسامية ، حدث فى السنوات الاخيرة تنافس محموم بين كبريات منظمات «الدفاع» اليهودية ، خاصة رابطة العداء للتشهير ومركز سايمون ويزنثال . وفى مجال جباية الأموال ، ساهمت الأخطار المزعومة التى تواجه اسرائيل فى خدمة الغرض نفسه ، وقال الصحفى الاسرائيلى المعروف دانى روبنشتاين لدى عودته من رحلة إلى الولايات المتحدة :

يرى معظم الناس فى المؤسسة اليهودية ان المهم هو أن نؤكد مرارا وتكرارا على الأخطار الخارجية التى تهدد اسرائيل .. وتحتاج المؤسسة اليهودية فى أمريكا لإسرائيل كضحية للاعتداء العربى الوحشى .. إذ يستطيع المرء أن يحصل لهذه الضحية على الدعم والهبات والأموال .. ويعرف الجميع السجل الرسمى للتبرعات التى جمعت من خلال الجباية اليهودية فى امريكا ، حيث يستخدم فيها اسم اسرائيل ، ولايوجه نصف هذه المبالغ إلى اسرائيل وإنما إلى المؤسسات اليهودية فى امريكا . فهل هناك سخرية أكبر من ذلك . وسوف نرى كيف ان استغلال صناعة الهولوكوست «لضحاياها المحتاجين » هو أحدث وأبشع مظاهر هذه السخرية.

ولعل الدافع الخفى الرئيسى لدق أجراس العداء للسامية يكمن فى مكان آخر ، إذ بعد ان حقق يهود امريكا المزيد من النجاح غير القانونى ، اتجهوا بثبات نحو اليمين على الصعيد السياسى . وعلى الرغم من ان اليهود كانوا لايزالون فى اليسار الوسط فى قضايا الثقافة مثل آداب الجنس والإجهاض ، فقد تزايدت نزعة المحافظة لديهم فى السياسة والاقتصاد [١] . وقد أكمل التوجه نحو اليمين اتجاه داخلى ، فقد قام اليهود بصورة متزايدة بتوجيه مواردهم الى المصالح اليهودية فقط من دون اهتمام بحلفاء سابقين من بين الفقراء ، وقد ظهر هذا التوجه عند يهود امريكا [٢] بوضوح فى التوتر المتزايد بين اليهود والسود . وكان اليهود حلفاء تقليديين مع السود ضد التمييز الطبقى فى الولايات المتحدة ، وانشق الكثيرون

---

(١) لدراسة بيانات استطلاع الرأى التى تؤكد هذا الاتجاه انظر مقال موراى فريدمان « هل يتجه يهود امريكا الى اليمين ؟ فى كومنترى (ابريل ٢٠٠٠) .وفى المنافسة على منصب عمدة نيويورك عام ١٩٩٧ بين الديموقراطى روث ميسنجر والجمهورى رودلف جيوليانى ، ذهبت نسبة ٧٥٪ من أصوات اليهود إلى المرشح الجمهورى ، فقد تجاوز اليهود الخطوط الحزبية والعرقية لكى يقوموا بذلك (فقد كان ميسنجر يهوديا) .

(٢) ويبدو ان جانبا من هذا التحول يعود الى عزل قيادة يهود وسط اوربا واستبدالهم بيهود شعوبيين ومحدثى نعمة من شرق اوربا مثل عمدة مدينة نيويورك ادوارد كوخ ومحرر النيويورك تايمز . أ.م روزنتال . وتجدر الاشارة الى ان المؤرخين اليهود المنشقين عن معتقدات الهولوكوست هم من وسط اوروبا مثل هانا ارينت ،هنرى فريدمان ، راؤل هيلبرج وأرنوماير .

منهم على تحالف الحقوق المدنية فى اواخر الستينات عندما أخذت أهداف حركة الحقوق المدنية تتحول على حد قول جوناثان كوفمان من المطالبة بالمساواة القانونية والسياسية إلى المساواة الاقتصادية . وتذكر شيريل جرينبرج أيضا : عندما تحولت حركة الحقوق المدنية شمالاً بالقرب من هؤلاء اليهود الليبراليين ، اخذت مسألة الاندماج شكلا مختلفا . وبعد أن أخذت المصالح والاهتمامات الشكل الطبقى وليس العنصرى ، فر اليهود إلى الضواحى بسرعة مثلما فعل المسيحيون البيض لتجنب ما تخيلوا انه تدهور مدارسهم واحيائهم ؛ وكان إضراب المعلمين فى مدينة نيويورك عام ١٩٦٨ هو ذروة هذه التطورات ، فقد واجه اتحاد مهنى يهودى الحركيين من السود الذين يناضلون للسيطرة على عيوب المدارس وفشلها . وتشير روايات الإضراب إلى عداء متطرف للسامية . ولا يتردد كثيراً ذكر انفجار العنصرية اليهودية ، التى لم تكن بعيدة عن السطح قبل الإضراب . وقد برز خبراء الدعاية والمنظمات اليهودية فى الجهود الخاصة لإلغاء برامج العمل الايجابى [1] وفى اختبارات مهمة للمحكمة العليا ديفونيس عام ١٩٧٤ وبيكى عام ١٩٧٨ ، قدمت اللجنة اليهودية الامريكية ورابطة العداء للتشهير والمؤتمر اليهودى الامريكى - وكلها تعكس غالبية الشعور اليهودى - طلبات تعارض العمل الايجابى .

وفى حملتها العنيفة للدفاع عن المصالح المشتركة للطبقة التى ينتسبون اليها وصمت الصفوة اليهودية كافة اشكال المعارضة لسياساتها المحافظة الجديدة بأنها عداء للسامية . وقال رئيس رابطة العداء للتشهير ناثان بيرل موتر ان العداء الحقيقى للسامية فى أمريكا يتكون من مبادرات فى محيط السياسة تهدد المصالح اليهودية مثل «العمل الايجابى »، تخفيض ميزانية الدفاع والانعزالية الجديدة ، وكذلك معارضة القوة النووية وحتى إصلاح الهيئة الانتخابية التى تنتخب رئيس الجمهورية ونائبه .

(١) الجهود التى تهدف الى تحسين فرص العمل والتعليم للأقليات والمرأة .

ولعب الهولوكوست دوراً حاسما فى هذا الهجوم الإيديولوجى وأدى إلى اضطهاد تاريخى حجب النقد الذى نراه اليوم . وكان من الممكن لليهود ان يشيروا إلى نظام الحصص الذى عانوا منه فى الماضى كذريعة لمعارضة برامج العمل الايجابى ، وما عدا ذلك ، يعنى إطار الهولوكوست أن العداء للسامية يمثل كراهية غير منطقية لليهود من قبل غير اليهود .، وهى تستبعد احتمال ان يكون العداء لليهود نابعا من صراع حقيقى للمصالح (وسوف نوضح ذلك فيما بعد) .لذلك ، فإن إثارة الهولوكوست خدعة لرفض كل نقد لليهود : لأن هذا النقد لا ينبع إلا من كراهية مرضية .

ومثلما تتذكر المنظمات اليهودية الهولوكوست عندما تكون قوة اسرائيل فى ذروتها فهى تتذكره أيضا حينما تكون قوة يهود امريكا فى ذروتها . ومع ذلك فالادعاء هو ان اليهود هناك وهنا يواجهون «هولوكوست ثانى» وشيك . ولذلك تستطيع الصفوة اليهودية الامريكية اتخاذ مواقف بطولية عندما تنغمس فى التظاهر بالقوة بصورة تنم عن الجبن .. ويشير نورمان بودوريتز، على سبيل المثال ،إلى التصميم اليهودى الجديد بعد حرب يونيو عام ١٩٦٧ بمقاومة كل من تسول له نفسه بأية درجة ولأى سبب كان ،أن ينزل بنا الأذى .. وسنقف على ارضنا من الآن فصاعداً .. ومثلما قام الاسرائيليون ، الذين سلحتهم الولايات المتحدة إلى أقصى حد ، بشجاعة ، بوضع الفلسطينيين العنيدين فى مكانهم المناسب ، حذا اليهود الامريكيون حذوهم بشجاعة بوضع السود العنيدين فى مكانهم .

والمضمون الحقيقى للشجاعة التى استردتها منظمات يهود أمريكا هو ممارسة الاستبداد على الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم .

الفصل الثانى

المخادعون - والمساومون والتاريخ

يذكر الكاتب الاسرائيلى المعروف بواس إيفرون : الوعى بالهولوكوست عبارة عن عملية معرفة وتلقين رسمية ودعائية بالفعل وإطلاق للشعارات ونظرة كاذبة للعالم ، ليس هدفها الحقيقى فهم الماضى بأى حال ، وانما تلاعب واستغلال للحاضر ، والمحرقة النازية فى حد ذاتها لا تخدم أى برنامج سياسى معين ، وتستطيع بسهولة الدعوة إلى الابتعاد عن تأييد السياسة الإسرائيلية ، ومع ذلك ، يقول إيفرون إن ذكرى الإبادة النازية أداة قوية بيد زعامة اسرائيل واليهود فى الخارج ، وقد تحولت إلى وسيلة إيديولوجية . لقد أصبحت المحرقة النازية هى الهولوكوست .

وهناك عقيدتان أساسيتان تعززان اطار الهولوكوست :

١- يمثل الهولوكوست واقعة تاريخية فريدة من نوعها .

٢- الهولوكوست هو ذروة كراهية غير اليهود - غير المنطقية الأبدية - لليهود.

ولم تظهر أى من هاتين العقيدتين فى الأحاديث العامة قبل حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، وعلى الرغم من أنهما اصبحتا محور آدب الهولوكوست إلا أنهما لم تظهرا على الاطلاق فى الثقافة الحقيقية عن المحرقة النازية ، ومن ناحية اخرى، تعتمد العقيدتان على قواعد مهمة فى اليهودية والصهيونية .

وفى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، لم تكن المحرقة النازية تعتبر حدثا يهوديا فريداً ، أو حدثا فريداً من الناحية التاريخية . وقد جاهدت المنظمات اليهودية الأمريكية من أجل وضع المحرقة فى نطاق عالمى . ومع ذلك وبعد حرب يونيو ، تمت إعادة صياغة الحل الاخير النازى . ويقول جاكوب نيوزنر : لعل أول وأهم ادعاء برز

من حرب عام ١٩٦٧ وأصبح رمزاً لليهودية الامريكية .. هو أن الهولوكوست فريد من نوعه ولا نظير له فى تاريخ البشرية .. ويسخر المؤرخ ديفيد ستانارد فى مقال رائع من « الصناعة الصغيرة لكتاب سيرة الهولوكوست الذين ينادون بتميز التجربة اليهودية بحماس وقوة وبراعة المتعصبين المتدينين » إذ لا معنى لمبدأ التميز .

والمعروف أساسا أن كل حدث تاريخى هو فريد ولا مثيل له ، اذا كان ذلك بفضل الزمان والمكان ، ولكل واقعة تاريخية ملامحها وسماتها التى تشترك فيها مع أحداث تاريخية أخرى . والشىء الغريب فى الهولوكوست هو أن تميزها حاسم للغاية وقد يسأل سائل : أى حدث تاريخى يذكر لمجرد انه فريد ومميز ؟

ويتم فصل السمات المميزة للهولوكوست لوضع الحدث فى فئة منفصلة تماما ، ولكن لم يكن من الواضح أبداً السبب وراء اعتبار الملامح المتشابهة العديدة بأنها عادية وغير ذات قيمة عند المقارنة بغيرها .

ويجمع كافة كتاب الهولوكوست أن هذا الحدث مميز وفريد ، ولكن هناك قلة ، إن وجدت ، تتفق حول السبب فى ذلك ، وفى كل مرة يتم فيها دحض القول بتميز الهولوكوست ، تظهر حجة أخرى جديدة بدلا منها . ويقول جان ميشيل شومون إن النتائج متعددة والحجج متضاربة تلغى بعضها البعض : فالمعرفة لاتتراكم ، بل بالعكس ، فانه لتحسين الحجة السابقة ، تبدأ كل حجة جديدة من الصفر .. وبعبارة اخرى : التميز شىء محدد فى اطار الهولوكوست ، وإثباته هو المطلوب ، ودحضه يعادل إنكار الهولوكوست . ولعل المشكلة هى فى الفرض وليست فى البرهان والدليل . وحتى ولو كان الهولوكوست فريدا ومميزا ، فما الفرق ؟ كيف سيغير ذلك من فهمنا إذا لم تكن المحرقة النازية الأولى وانما الرابعة أو الخامسة فى سلسلة من الكوارث المماثلة ؟ ولعل أحدث كتاب فى مسابقات تميز الهولوكوست هو كتاب ستيفن كاتز «الهولوكوست فى السياق التاريخى» . ويذكر كاتز نحو خمسة آلاف عنوان فى أول مجلد من دراسة تقع فى ثلاثة مجلدات ، ويستعرض مجمل التاريخ

الإنسانى لإثبات أن الهولوكوست ظاهرة مميزة وذلك لأنه لم يحدث من قبل أبدا أن قامت دولة بناء على مبدأ متعمد وسياسة فعلية بإبادة كل رجل وامرأة وطفل من شعب معين ، ويوضح كاتز هذه الفرضية بقوله : الحدث التاريخى الذى له سمة مميزة هو حدث تاريخى مميز . ولمنع اى التباس يوضح كاتز أنه يستخدم عبارة ظاهرة بمعنى مختلف تماما عما هو معروف ومألوف ، وهذا هراء تام ، وحتى لو أيد الدليل مقولة كاتز الأساسية ، وهو غير وارد ، فسوف يثبت ذلك فقط أن للهولوكوست سمة مميزة. والتساؤل هو هل هى غير ذلك . ويرى شومون أن الدراسة التى قام بها كاتز، فى الحقيقة ، إيديولوجية فى قالب « علم » وسوف نوضح ذلك فيما يلى .

هناك شيء بسيط جداً يفصل بين الادعاء بتميز الهولوكوست عن القول أنه لايمكن فهم هذا الحدث بصورة منطقية. فاذا كان الهولوكوست لا مثيل له فى التاريخ ، فلابد أن يكون متميزاً ومن ثم لا يستطيع التاريخ ان يدركه. فى الحقيقة الهولوكوست مميز وفريد لاستحالة تفسيره ، ويستحيل تفسيره لأنه فريد ومميز .

ويتحدث نوفيك عن « قدسية الهولوكوست» ولكن إيلى ويزل أكثر الناس استخداما لهذا الغموض .ويقول نوفيك : الهولوكوست عند ويزل عقيدة «غموض واسرار وصناعة» بالفعل . لذلك يرى ويزل أن الهولوكوست يقود إلى ظلام ويدحض جميع الأجوبة .. ويقع خارج نطاق التاريخ إن لم يكن بعيداً عن متناوله ، ويتحدى العلم والوصف ، ولا يمكن أن نفسره أو نتخيله ، ولا يمكن أبداً إدراكه أو نقله ، ويمثل تدميراً للتاريخ وتحولاً أساسياً على نطاق كونى . ورجل الدين الذى نجا منه فقط (أى ويزل فقط) يستطيع أن يحل غموضه ويسبر أغواره ، ومع ذلك ، يقول ويزل إن سر الهولوكست لا يمكن نقله أو تبليغه ، بل ولا نستطيع حتى الكلام عنه، ولذلك ، ومقابل أتعاب موحدة ٢٥ ألف دولار (مع سيارة بسائق) ألقى ويزل محاضرة قال فيها: « يكمن سر حقيقة أوشويتز فى الصمت » .

وعلى ذلك فإن إدراك الهولوكست من الناحية المنطقية يصل إلى درجة إنكاره . فالمنطق ينكر تميز الهولوكست وغموضه . ومقارنة الهولوكست مع معاناة وآلام الآخرين ، يمثل عنده " خيانة كاملة للتاريخ اليهودي" . وقبل سنوات من ذلك التاريخ جاء في مقال ساخر في إحدى صحف نيويورك "تابلويد" مايكل جاكسون ، ٦٠ مليون آخرون يموتون في هولوكست نووي" . وجاء في صفحة رسائل القراء احتجاج غاضب من ويزل : كيف يجرؤ الناس على الإشارة إلى ما حدث أمس على أنه هولوكست .؟

هناك هولوكست واحد فقط .. وفي مذكراته الجديدة لإثبات أن الحياة تستطيع أيضاً أن تقلد المحاكاة الساخرة ، يوبخ ويزل شيمون بيريس لأنه يتحدث من دون تردد عن " اثنين من حوادث الهولوكوست" في القرن العشرين: أوشويتز وهيروشيما ، ويقول : لم يكن له أن يفعل ذلك [١] . ومن أحب السطور عند ويزل ما جاء فيه : تكمن شمولية الهولوكست في تميزه . فإذا كان الهولوكست مميزاً ولا سبيل إلى مقارنته وفهمه ، فكيف يمكن أن يكون له بعد عالمي شامل؟

مما لا شك فيه أن المناقشة حول تميز الهولوكست عقيمة . فالادعاءات بذلك

---

(١) يقول ويزل في كتابه " والبحر" .. لقد آثار كين ليفنجستون العضو السابق في حزب العمال والذي يرشح نفسه لمنصب عمدة لندن كمستقل ، غضب اليهود في بريطانيا بقوله إن الرأسمالية العالمية قد راح ضحيتها عدد يماثل الذين سقطوا ضحايا في الحرب العالميةالثانية .. وقال إن النظام المالي الدولي يقتل كل عام عدداً من الناس أكثر من ضحايا الحرب العالمية الثانية . ولكن هتلر كان مجنوناً ورد جون بترفيل - النائب المحافظ : هذه إهانة لجميع الذين قتلهم واضطهدهم أدولف هتلر. وإن إدانة كيفنجستون للنظام المالي العالمي تحمل في طياتها مشاعر العداء للسامية .
ومن ناحية أخرى ، إتهم الرئيس الكوبي فيدل كاسترو النظام الرأسمالي بأنه السبب وراء الكثير من الضحايا على غرار الحرب العالمية الثانية وذلك بتجاهله حاجات الفقراء . وتذكرنا صور الأمهات والأطفال في إفريقيا كلها وهم يعانون من وطأة الجفاف والكوارث الأخرى بمعسكرات الاعتقال في ألمانيا النازية .وأشار الزعيم الكوبي إلى محاكمات جرائم الحرب : نحن بحاجة إلى نورمبرج للحكم على النظام الاقتصادي الذي فرض علينا حيث يموت كل ثلاث سنوات أعداد من الرجال والنساء والأطفال نتيجة الجوع والأمراض التي يمكن الوقاية منها أكثر ممن ماتوا في الحرب العالمية الثانية . وفي نيويورك يقول ابراهام فوكسمان المدير القومي لرابطة العداء للتشهير الفقر خطير ومؤلم ويؤدي إلى الهلاك ولكنه ليس الهولوكوست ، وليس معسكرات اعتقال ..

أصبحت تمثل ضربا من ضروب " الإرهاب الفكرى " (شومون) . والذين يمارسون خطوات المقارنة العادية للبحث العلمى عليهم أولاً أن يقدموا ألف تحذير وتحذير لئلا توجه إليهم تهمة تحقير الهولوكوست وجعله تافهاً .

ولعل أحد المعانى الضمنية لتميز الهولوكوست هو أن الهولوكوست كان شراً بصورة لا نظير لها . ومهما كانت معاناه الآخرين رهيبة وقاسية فلا يمكن مقارنتها به . وينكر أنصار تميز الهولوكوست هذا المعنى الضمنى ، غير أن هذه الاعتراضات تتسم بالمكر ، والخداع [1]

ولا شك فى أن الادعاءات بتميز الهولوكست جوفاء فكريا ومخزية ومشينة أخلاقيا ، ومع ذلك يتمسكون بها ، والسؤال .. لماذا ؟ أولاً ، المعاناة المتميزة توجب حقوقا واستحقاقات فريدة . وقد قال جاكوب نويزنر : الكارثة الفريدة للهولوكوست لا تجعل اليهود منفصلين عن الآخرين فحسب ، بل وتعطيهم " حقا يطالبون به هؤلاء الآخرين " . ويذكر إدوارد الكسندر " تميز الهولوكوست " رأسمال أخلاقى " ، ويجب على اليهود أن يطالبوا بحق السيادة " على هذه الممتلكات ذات القيمة العالية " .

وفى الواقع فإن تميز الهولوكوست - هذا الحق على الآخرين ، " ورأس المال الأخلاقى " - هو أكبر عذر وذريعة لدى اسرائيل . ويقول المؤرخ بيتر بالدوين : إن صفة التميز والخصوصية لمعاناة اليهود تضيف إلى الادعاءات الأخلاقية والعاطفية التى تستطيع اسرائيل أن تطالب بها .. الأمم الأخرى . وعلى ذلك ، وكما يذكر ناثان جليزر ، يعطى الهولوكوست - الذى يشير إلى التميز الغريب لليهود " - حق

---

(١) كاتز " الهولوكوست " ١٩ . ٢٢ ويقول نوفيك : الزعم بأن تأكيد تميز الهولوكوست ليس ضرباً من ضروب المقارنة التى تثير الحسد هو شىء من الخداع والمكر ، وهل هناك من يصدق أن ادعاء التميز ليس إلا زعماً بالتفوق ؟ وللأسف فإن نوفيك نفسه ينخرط فى مثل هذه المقارنة ، لذلك يقول إنه بالرغم من أن هذا شئ من قبيل التملص والغموض فى سياق أمريكى " فان التأكيد المستمر بأنه مهما فعلت الولايات المتحدة للسود والأمريكيين الأصليين والفيتناميين أو غيرهم يمكن مقارنته بالهولوكوست صحيح .. "

اعتبار أنفسهم أنهم يتعرضون للتهديد بصورة خاصة ولذلك فهم يستحقون بذلك الجهود اللازمة من أجل بقائهم . ولنضرب مثلا على ذلك ، إن كل رواية لقرار اسرائيل بتطوير أسلحة نووية تثير شبح الهولوكوست . كما لو أن اسرائيل لن تقوم بتطوير الأسلحة النووية من دون ذلك .

وهناك عامل آخر فى الموضوع . الادعاء بتميز الهولوكست هو ادعاء بتميز اليهود ، وليست معاناة اليهود لأن اليهود عانوا ما عانوا وهو ما جعل الهولوكوست متميزاً وفريداً . أو : الهولوكوست متميز لأن اليهود كذلك . لذلك يسخر اسمار شورش - رئيس منتدى اللاهوت اليهودى - من هذا الزعم ويعتبره " صورة دنيوية بغيضة لصفة الشعب المختار " . وإيلى ويزل شديد الحماس لتميز الهولوكست ، مثل حماسته لتميز اليهود : كل شئ فينا مختلف ، فاليهود من حيث وجودهم غير عاديين . وبمناسبة قمة كراهية الاجانب الالفية لليهود ، يبرهن الهولوكوست بتميز معاناة اليهود وكذلك يثبت أن اليهود متميزون .

ويذكر نوفيك انه فى خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها ، لم يكن هناك أحد فى الحكومة الأمريكية ، وخارجها ، من اليهود أو غير اليهود ، يفهم معنى عبارة «التخلى عن اليهود » وحدث العكس عقب يونيوعام ١٩٦٧ ، إذ انتشرت موضوعات تتصل بالهولوكوست مثل « صمت العالم ، عدم اهتمام العالم ، التخلى عن اليهود .... » .

وكان اطار الهولوكوست - وهذا معتقد صهيونى - يعتبر الحل الاخير الذى قام به هتلر بمثابة ذروة الكراهية الألفية لليهود من قبل الأجانب . فقد هلك اليهود لأن جميع الأجانب أرادوا موتهم سواء كانوا الذين اقترفوا ذلك أم الذين شاركوا فيه بموقفهم السلبى . ويقول ويزل : لقد سلم العالم الحر والمتمدن اليهود إلى الجلاد . كان هناك القتلة والذين التزموا الصمت . ولا وجود لدليل تاريخى على دافع اجرامى

عند غير اليهود . ولاترقى محاولة دانيال جولد هاجن المملة لاثبات جانب من جوانب هذا الادعاء فى كتابه « جلادو هتلر المتحمسون » (نيويورك١٩٩٦) الى حد الهزل والإضحاك . ومع ذلك ، كانت فائدتها السياسية كبيرة جدا . وفى وسع المرء ان يقول إن « نظرية العداء الابدى للسامية » تبعث الارتياح عند المعادين للسامية . وتقول هانا أرينت فى « مصادر النزعة الاستبدادية » من المعروف أن المعادين المحترفين للسامية قد أخذوا بهذا المبدأ ، فهو يقدم أفضل الأعذار الممكنة لجميع الفظائع . فإذا كان صحيحاً أن البشرية أصرت على قتل اليهود طوال اكثر من الفى عام ، فإن قتلهم يصبح وظيفة عادية بل وانسانية ، وكراهية اليهود لاتحتاج إلى مبررات أو حجج . والجانب المدهش فى هذا التفسير هو أن عدداً كبيراً من المؤرخين غير المتحيزين وعدداً اكبر من اليهود أخذوا به .

وقد استخدمت عقيدة الهولوكوست القائمة على الكراهية الدائمة من قبل غيراليهود لتبرير ضرورة إقامة دولة يهودية وتبرير العداء الموجه لإسرائيل.

والدولة اليهودية هى الضمان الوحيد ضد الانفجار القادم « الحتمى » للعداء الفتاك للسامية ، وبالعكس ، ان العداء القاتل للسامية وراء كل هجوم أو حتى مناورة دفاعية ضد الدولة اليهودية . ولتبرير نقد اسرائيل ، قدمت كاتبة القصص الخيالية سينثيا أوزيك الرد : العالم يرغب فى إبادة اليهود ...لقد كان العالم دائما يرغب فى ابادتهم . فإذا كان العالم كله يريد موت اليهود ، فالعجب فعلا هو أنهم لايزالون أحياء ولايتضورون جوعاً بالفعل مثل الكثيرين من بنى البشر .

وقد أعطى هذا المعتقد لاسرائيل رخصة كاملة : إذ نظر لعزم الأمميين (غير اليهود)[1] دائما على قتل اليهود ، يحق لليهود أن يحموا انفسهم بالطريقة التى يرونها مناسبة . ومهما كانت الوسيلة التى قد يلجأ اليها اليهود ، حتى العدوان

---

(١) يطلق اليهود صفة Gentiles على غير اليهود ومعناها الأمميين

والتعذيب ، يمثل دفاعا شرعيا عن النفس ويقول بواس إيفرون فى استنكار « درس الهولوكوست » المتعلق بالكراهية الدائمة للأمميين « ان هذا يصل بالفعل الى درجة التعمد فى خلق مرض العظمة ... وتسمح هذه العقلية بأية معاملة غير انسانية لغير اليهود ، وذلك لأن الخرافة السائدة هى أن جميع الناس تواطئوا مع النازية فى القضاء على اليهود ، ومن ثم فكل شئ جائز لليهود فى علاقاتهم بالشعوب الاخرى ».

وفى نطاق الهولوكوست فالعداء للسامية من قبل الأمميين لا سبيل الى استئصاله وهو غير منطقى دائما . وإذا تجاوزنا التحليل الصهيونى الكلاسيكى ، ناهيك عن التحليل العلمى ، يقول جولد هاجن ان العداء للسامية « إذا فصلناه عن اليهود الحقيقيين » ليس رداً أساسيا على أى تقييم موضوعى للعمل اليهودى ، وهو مستقل عن طبيعة وأعمال اليهود . «والعقل» هو « المجال الواسع » للمرض العقلى عند غير اليهود . ويذكر ويزل أن العداء للسامية يقوم على حجج لا منطقية لذلك يرفض حقيقة وجود اليهود . ويقول عالم الاجتماع جون موراى كوديهى : إن كل مايقوم به اليهود أو يحجمون عن القيام به ، لا صلة له بالعداء للسامية ، بل وإن أية محاولة تهدف الى تفسير المعاداة للسامية بالإشارة إلى مشاركة اليهود فى ذلك هى أنه من الممكن تبرير ضرب من العداء للسامية . وليست المسألة بالطبع هى أن العداء للسامية أو ان اليهود يستحقون اللوم على الجرائم التى ارتكبت ضدهم ، وانما العداء للسامية ينشأ فى إطار تاريخى معين مع مايرافقه من تداخل المصالح . ويذكر إسمار شورش : تستطيع أقلية موهوبة جيدة التنظيم وناجحة ان تثير صراعات نتيجة وجود توتر داخل المجموعة بالرغم من أن هذه الصراعات غالبا ماتوضع فى قوالب من العداء للسامية .

ونستطيع استخلاص الأساس غير المنطقى للعداء للسامية عند الأمميين من

الأساس المماثل للهولوكوست .ومن حيث الذكاء والفطنة ، كان الحل الاخير عند هتلر يفتقر إلى العقلانية ، لقد كان شراً فى حد ذاته ، قتل جماعى لا هدف له ، لقد كان هذا الحل الأخير يمثل ذروة العداء للسامية عند الاجانب ، لذلك فهو شئ غير منطقى أساسا . وإذا أخذنا هذه الافتراضات معاً او كلا على حدة ، فسوف تتداعى حتى أمام الدراسة السطحية [1] . ومع ذلك ، فمن الناحية السياسية ، نجد أن هذه الحجة بالغة النفع والفائدة .

ومن خلال تبرئة اليهود تماماً ،يجعل معتقد الهولوكوست اسرائيل ويهود امريكا بعيدين عن اللوم المشروع ، فالعداء العربى ، والعداء الإفريقى - الأمريكى : ليس رداً اساساً على أى تقييم موضوعى للعمل الذى يقوم به اليهود (جولد هاجن)[2]. ولنقرأ ماكتبه ويزل عن اضطهاد اليهود : لقد كنا طوال الفى عام من الزمن معرضين للخطر والتهديد ..لماذا ؟ لايوجد سبب لذلك . وبالنسبة لعداء العرب لاسرائيل : فهو يرجع لأننا يهود وبسبب مايمثله الوطن لنا - محور حياتنا ، وحلم أحلامنا -وعندما يسعى اعداؤنا الى القضاء علينا ، فسوف يفعلون ذلك بمحاولة القضاء على اسرائيل .وفيما يتعلق بعداء السود ليهود امريكا : إن الذين يأخذون الإلهام منا لايعبرون عن شكرهم لنا وانما يعتدون علينا . لذلك نجد أنفسنا فى موقف خطير ... ومرة ثانية نحن كبش الفداء من كل جانب ... لقد ساعدنا السود ، وكنا نساعدهم دائما وأبداً ... اننى أشعر بالأسى لهم ... هناك شئ واحد يجب ان

---

(١) لا يتسع نطاق هذا الكتاب إلى عرض كامل للموضوع ولكن نستطيع القول أن جرائم هتلر ضد اليهود ، حتى وإن لم تكن منطقية (وهذا فى حد ذاته قضية معقدة) فلا تشكل حدثا تاريخيا فريداً . ولنذكر ما كتبه جوزيف شومبيتر عن الاستعمار اذ قال : تلعب الاتجاهات غير المنطقية واللامعقولة والغريزية المحضة دوراً كبيراً فى تاريخ الإنسان . فقد وقعت حروب لا حصر لها وربما غالبية الحروب من دون مصلحة معقولة أو لها ما يبررها .

(٢) هناك دراسة حديثة قام بها ألبرت ليندمان - وهو يتحاشى إطار الهولوكوست صراحة - تبدأ من افتراض أنه مهما كانت قوة الأسطورة ، لم يكن كل العداء لليهود - الفردى أو الجماعى - يستند على نظرة متعصبة أو خيالية لهم ، أو على تنبؤات لا صلة لها بأى واقع ملموس . لقد كان فى مقدور اليهود كبشر، كأية جماعة أخرى - أن يثيروا العداء فى الحياة اليومية .

يتـعلمـوه منا وهو الامـتنان والشكر لا يوجد شعب فـوق هذه الأرض يـعرف الـشكر والعـرفـان مـثلنا ... نحن نعـتـرف بالجـميل والـشكر الى الابد ... نتـعـرض للتـأديب والعقاب دائما ... هذا هو العبء فى أن تكون يهودياً .[1]

وتبرر عـقيدة الهولوكوست التى تقوم على كراهية الأجانب الأبدية أنها شئ يتسم بالتـميـز فـإذا كانت تمثل ذروة هذه الكراهية الالفيـة لليهـود ، فـاضطهاد غـيـر اليـهـود انذاك وعبر التاريخ كان غيـر مقصـود عارضاً فقط . إذن ، كـانت معاناة اليـهـود فى الهولوكوست شيئا مميزا وفريداً .

وأخيـراً ، كانت معـاناة اليـهـود فريدة لأنهم مميزون . وكـان الهولوكـوست فريدا لانه لم يكن منطقيـا . وفـى النهـاية كـان الدافع ورا ءه انفـعـال غـيـر منطقى تمـامـاً، وان كـان من البشر . إن العالم يكره اليهود من قبيل الحسد والحقد : الإحباط والغيظ . ويقول ناثان وروث آن بيرلمـوتر : لقد جا ء العدا ء للسامية من حسد وحقد الأجانب على تفوق اليـهود على المسيحـيـين فى الأسواق ... فـالأعداد الكبيـرة من الاجانب الأقل براعـة ومهـارة تحسد الأقـلية اليـهـودية الأكثـر مهارة . وبذلك يؤكـد الهولوكـوست - وان كـان بصـورة سلبيـة - صفـة التـميز عند اليـهـود . ونظراً لأن اليـهـود أفـضل وأكثـر نجاحا ، فهم يعـانون من غيظ وسخط الأجانب الذين قاموا بقتلهم فيما بعد .

ويقول نوفـيك فى ملاحظة مختصرة : كـيـف يكـون شكل الحديث عن الهـولوكـوست فى أمريكا إذا لم يكن مـفسره الرئيسى إيلى ويزل ؟ وليس من الصـعب أن نعثر على الجـواب : إذ قـبل يونيـو عام ١٩٦٧ كـانت رسالة برونوبيت لهيم أحد الذين نجوا من معـسكرات الاعـتـقـال - الى العـالم - يتـردد صداها فى أوسـاط يهـود أمـريكا وبعـد حرب يونيـو ، طرح بيت لهيم جانبا لصـالح ويزل . وجاء ظهـور ويزل بفضل برنامجه

---

(١) يقول شومون .. إن عقيدة الهـولوكوست تجعل الجرائم الأخرى أكثر قبولا . والإصرار على براءة اليـهود - أى عدم وجود أى دافع منطقى لاضطهادهم ، ناهيك عن قتلهم - يفـترض وضـعـاً "طبيـعـيـاً" للاضطهاد والقتل فى ظروف أخرى وبذلك يمكن ايجاد فصل واقعى بين جرائم لا تحـتـمل من غيـر قـيـد أو شـرط وتلك التى يجب بل ويمكن التعايش معها .

الإيديولوجى ٠ تميز معاناة اليـهـود / تميز اليـهـود ، الأجانب مجـرمون الى الأبد / اليـهـود أبرياء الى الأبد ، الدفـاع غير المشروط عن اسرائيل / الدفاع غيـر المشروط عن المصالح اليهودية : إيلى ويزل هو الهولوكوست .

ان مـعظم المؤلفـات والكتب التى صـدرت عن الحل النهـائى الذى قـام به هتلر لا قيـمة لها كثقـافة وعلم من حيث شرحها لمعتقدات الهولوكوست الأساسيـة ، اذ يزخر ميدان الدراسات عـن الهولوكوست بالهراء إن لم يكن بالاحتيـال والخداع التام ، ولعل ما يستحق الاهتمام هو المحيط الثقافى الذى يغذى أدب الهولوكوست .

واكبـــر واول خـدعـــة عن الهـولوكوست هى الطـــائر المدهـون (The painted Bird) للمهـاجر البولـندى جيـرزى كـوسينسكى . ويقـول المؤلف لقد صدر الكتـاب بالإنجليزية بحيث أستطيع الكتابة من دون انفعـال وبهدوء بعيدا عن الدلالة العاطفية التى تتواجد دائما فى لغـة الإنسان الأصلية . وفى الحقيـقة ، فإن الأجزاء التى كتبها بالفعل كتـبت بالبولندية . ويقال إن الكتـاب هو وصف ذاتى لمرحلة التجوال للترحـال للكاتب كطفـل وحيـد فى ريف بولندا ابان الحرب العـالميـة الثـانية . وقـد عـاش المؤلف مع والديه خلال الحـرب ٠ والدافع وراء الكتـاب هو صنوف التـعذيب الجنسى السـادى من قبـل سكان الريف فى بولـندا. وقـد وصفـه القراء قـبل نشره بأنـه :« أدب إباحـة العنف » وإنتـاج عـقل يعـانى من عنف الانـحراف الجنسى . و فى الحـقيـقة ، لقد قـام كوسينسكى باختـراع جميع الحكايات المرضيـة التى حـفل بهـا الكتـاب ٠ ويصـور الكتـاب المزارعين البـولنديين الذين عـاش معـهم على أنهم مـعـادون للسـاميـة ٠ فـهم يقولون : « إضربوا اليـهود .. إضربوا أولاد الزنا... » فى الواقـع ، لقد قام المزارعـون البـولنديون بإيواء اسرة كـوسينسكى وهم يعلمـون تمامـا أنهم يهـود ويعـرفـون العـواقب الوخيمة التى يواجهونها هم أنفسهم إذا قبض عليهم .

وقـد ادعـى إيلى ويزل فـى عـرض الكتـب فى النيــويورك تايمـز إن كـتـاب الطـائر

المدهون من أفضل الكتب التى أدانت « عصر النازية ، وقد كتب الكتاب بصدق واحساس عميقين » . وقالت سينثيا أوزيك انها ادركت على الفور صدق كوسينسكى كيهودى نجا من الهولوكوست وشاهد عليه. وبعد وقت طويل من وصف كوسينسكى بأنه مزيف أدبى بارع ، واصل ويزل الثناء على «كتابه الرائع »[١] .

وأصبح هذا الكتاب من النصوص الأساسية للهولوكوست . وكان من أكثر الكتب رواجاً وفاز بالجوائز وترجم الى عدة لغات وأصبح يدرس فى المدارس الثانوية والكليات . ولتكملة سلسلة الهولوكوست وصف كوسينسكى نفسه بأنه إيلى ويزل صغير سئ . فالذين لايستطيعون دفع أتعاب ويزل مقابل محاضراته يلجأون إليه - لأن الصمت لايأتى مجانا - وظلت النيويورك تايمز تدافع عنه زاعمة انه كان ضحية مؤامرة شيوعية وذلك بعد ان كشفته إحدى المجلات الاسبوعية[٢]

وفى عملية خداع قريبة العهد ، اعتمد بنجامين ويلكوميرسكى فى كتابه شظايا (FRAGMENTS) كثيراً على المادة الساقطة التى وردت فى كتاب كوسينسكى عن الهولوكوست ويحذو ويلكوميرسكى حذو سابقه فى تصوير نفسه على أنه طفل وحيد نجا من المحرقة وأصبح أبكما وانتهى به المطاف إلى ملجأ واكتشف مؤخراً فقط أنه يهودى . والراوى الرئيسى للقصة هو صوت طفل بسيط يتلاشى تدريجيا يسمح ببقاء الإطار الزمني وأسماء الاماكن غامضا . وعلى غرار كتاب الطائر المدهون ، يرقى كل فصل من فصول «الشظايا »إلى انغماس مفرط

(١) لعل اعجاب ويزل بكوسينسكى لم يكن مفاجأة ، فقد أراد الاخير تحليل «اللغة الجديدة» بينما سعى الأول الى وضع لغة جديدة للهولوكوست ، وبالنسبه لكوسينسكى فإن ما ورد بين الحكايات عبارة عن تعليق على القصة وشىء تعلق عليه القصة . اما عند ويزل فالمساحة بين أية كلمتين أوسع من المساحة بين السماء والأرض.

(٢) تعرض كوسينسكى لنوع من التحول وهو على فراش الموت . ففى السنوات القلائل بين ظهوره وانتحاره أعرب عن أسفه لأن صناعة الهولوكوست لم تشمل الضحايا من غير اليهود . وقال إن الكثيرين من يهود أمريكا الشمالية يعتبرونها كارثة يهودية محضة ، فى حين أن الملايين من الكاثوليك فى بولندا ومن الروس والجنسيات الأخرى ماتوا فيها . ويشيد بشجاعة البولنديين الذين آووه أثناء الهولوكوست رغم ملامحه السامية .

في العنف ويصور كوسينسكى فى كتابة «التحرير البطيء للعقل» ، ويصور ويلكوميرسكى الشظايا على انه ذاكرة منشطة .[1]

ونسجت خيوط خدعة من هذه المسألة، وكان كتاب الشظايا عبارة عن مذكرات مبدئية في الهولوكوست . فهو يبدأ في معسكرات الاعتقال ، حيث كان كل حارس عبارة عن وحش سادى مجنون يستمتع بتحطيم رءوس حديثى الولادة من اليهود . وتتفق الذكريات الكلاسيكية لمعسكرات الاعتقال النازية مع رواية الدكتور إيلا لينجينز رينر - أحد الناجين من أوشويتز .. ومع ذلك تحتل السادية الألمانية الشاملة مكاناً بارزا فى أدب الهولوكوست فهناك عدد من الساديين ، لا يزيدون على ٥ أو ١٠٪ . وتقوم المذكرات بخدمة مزدوجة «وتوثق » الطابع اللاعقلانى الفريد للهولوكوست والعداء المتعصب للسامية لمرتكبى الجريمة .

وتتميز «الشظايا » بوصفها للحياة ليس أثناء الهولوكوست وإنما بعدها . وقد تحمل بنجامين الصغير - الذى تبنته عائلة سويسرية - ألوانا جديدة من العذاب، وهو محتجز فى عالم الذين ينكرون الهولوكوست .. وتصرخ أمه .. إنه .. إنه كابوس .. إنه مجرد حلم سئ فقط .. لا تفكر فيه مرة أخرى .. ويقول: فى هذا البلد، الجميع يقولون لى يجب أن تنس، وهذا لم يحدث أبداً، فقد ظل الحلم معى .. وكانوا يعرفون كل شئ عنه .

وحتى فى المدرسة .. كان الأولاد يشيرون نحوى بقبضة أيديهم ويقولون : إنه وحشى .. لا يوجد شئ من هذا القبيل . كاذب .. مجنون ، أحمق ومعتوه ... (وكانوا على صواب) . كانوا يضربونه وينشدون قصائد معادية للسامية ، وكان جميع الأطفال غير اليهود يقفون ضد بنجامين المسكين، بينما راح الكبار يوبخونه ويلقون اللوم عليه فيما حدث .

ويبلغ اليأس من بنجامين مبلغه فوصل إلى ذروة الهولوكوست . فراح يقول: لايزال

---

(١) هناك تأثير كبير لويزل على ويلكو ميرسكى

المعسكر هناك .. مخبأ وغير ظاهر للعيان .. لقد خلعوا ملابسهم الرسمية وارتدوا ملابس جميلة حتى لا يسهل التعرف عليهم .. إذا أشرت إشارة رقيقة إلى انك قد تكون يهوديا .. فسوف تشعر برد الفعل : هؤلاء نفس الناس .. أنا متأكد من ذلك .. لا زالوا يستطيعون القتل ، حتى وإن كانوا فى غير الزى الرسمى .. والشظايا أكثر من مجرد تقدير وثناء لعقيدة الهولوكوست، إنها البندقية التى ينبعث منها الدخان، حتى فى سويسرا - المحايدة - جميع الأجانب يريدون أن يقتلوا اليهود .

رحب الكثيرون بالشظايا على أنها أدب كلاسيكى عن الهولوكوست، وترجم الكتاب إلى عدة لغات وفاز بجائزة الكتاب الوطنى اليهودية - جائزة جويش كورترلى .. وجائزة مذكرات الفاجعة .. وسرعان ما أصبح ويلكوميرسكى أحد دعاة الهولوكوست - باعتبار كتابه نجم الوثائق، محور المؤتمرات والندوات حول الهولوكوست، وجامع الأموال لمتحف ذكرى الهولوكوست فى الولايات المتحدة .

وأشاد دانيال جولد هاجن بروعة الكتاب على أنه «تحفة صغيرة» استطاع أن يشق الطريق أمام الكاتب فى عالم الأدب والعلوم . ومع ذلك، وصفه المؤرخون المطلعون - مثل راؤل هيلبرج - على أنه خدعة . وطرح هيلبرج الأسئلة الصحيحة بعد انكشاف الخدعة : كيف اعتبرت عدة دور للنشر الكتاب على أنه مذكرات ؟ كيف استطاع أن ينقل دعوات ويلكوميرسكى إلى المتحف التذكارى للهولوكوست والجامعات المعروفة فى الولايات المتحدة ؟ كيف لا يوجد لدينا جهاز لمراقبة الجودة عند تقييم مواد الهولوكوست للنشر؟

ويتضح أن ويلكوميرسكى -شبه الدجال والمخادع- أمضى فترة الحرب كلها فى سويسرا، فهو ليس يهوديا ومع ذلك، استمع لهذه العبارة بعد بدء صناعة الهولوكوست :

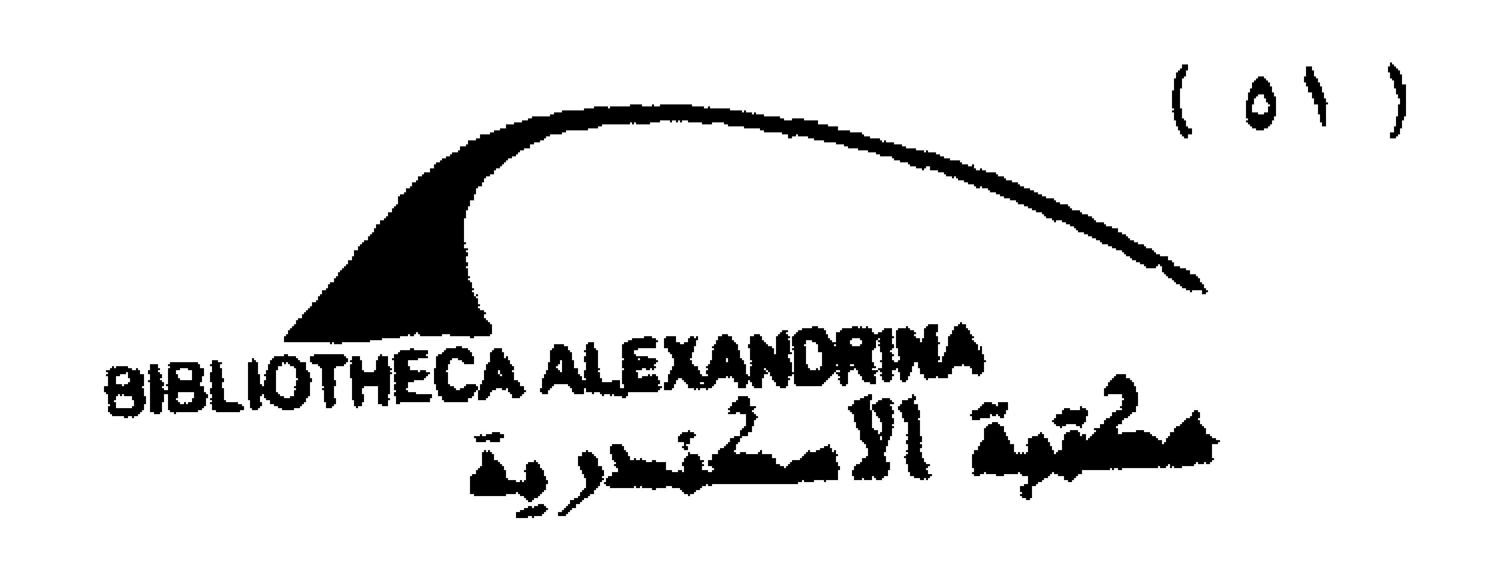
يقول الناشر آرثر صمويلسون : الشظايا كتاب هادئ لطيف ، هو أكذوبة إذا قلنا أنه ليس خياليا ، سوف أصدره من جديد ، في فئة القصص الخيالية . قد لا يكون ذلك صحيحا - فهو كاتب أفضل !

وتذكر كارول براون جين واى (محررة ومترجمة) : إذا ثبتت صحة الاتهامات، فالحقائق التجريبية ليست هى التى يمكن فحصها ، وإنما الحقائق الروحية هى التى يجب أن نفكر فيها .. والمطلوب هو فحص النفس .. وهذا ضرب من المستحيل .

وهناك المزيد .. إسرائيل جوتمان مدير ياد فاشيم ومحاضر عن الهولوكوست فى الجامعة العبرية .. وأحد النزلاء السابقين فى أوشويتز .. ويقول جوتمان : ليس مهما إذا كانت الشظايا خدعة أم لا .. لقد كتب ويلكوميرسكى قصة عاشها بالفعل ، وهذا مؤكد ، وهو ليس دجالا أو مخادعا .. ولكنه شخص يحيا هذه القصة فى أعماق روحه .. فالألم حقيقى .. لذلك ليس من المهم ما إذا كان قد أمضى الحرب فى معسكر اعتقال أو شاليه سويسرى ، ويقول أحد الذين نجوا من اوشويتز ثم أصبح خبيرا فى الهولوكوست .. ويلكوميرسكى ليس كاذبا إذا كان ألمه حقيقيا : ويستحق الآخرون الاحتقار وجوتمان يستحق الرثاء والأسف .

ونشرت النيويوركر عرضا لأكذوبة ويلكوميرسكى تحت عنوان «سرقة الهولوكوست» .. بالأمس جرى تكريم ويلكوميرسكى بسبب حكاياته عن شرور غير اليهود .. واليوم يلام باعتباره أمميا (غير يهودى) شريراً .. الأمر دائما خطأ الأمميين .. صحيح ، لقد زور ويلكوميرسكى ماضيه فى الهولوكوست، ولكن الحقيقة الأكبر هى أن صناعة الهولوكوست، التى قامت على اختلاس وسرقة التاريخ لأغراض ايديولوجية ، جاءت للاحتفال بالتلفيق الذى قام به . إنه أحد الذين «نجوا» من الهولوكوست ينتظر من يكتشف أمره .

وفى أكتوبر عام ١٩٩٩ قام الناشر الألمانى بسحب كتاب الشظايا من المكتبات



بعد أن اعترف أخيراً على الملأ انه ليس يتيما يهوديا وانما سويسرى المولد يدعى برونو دويسيكر . وثارت ثورة ويلكوميرسكى عندما قيل له أن الخدعة قد انكشفت .. وقال متحديا : أنا بنجامين ويلكوميرسكى .. وبعد شهر حذف الناشر الأمريكى - شوكين - الكتاب من قائمته .

ولنستعرض الكتب الثانوية التى نشرت عن الهولوكوست .. وعلامة التنبيه لهذا الأدب هو المساحة التى خصصت «لصلة العرب» بذلك . ويقول نوفيك : على الرغم من أن مفتى القدس لم يلعب أى دور مهم فى الهولوكوست، فان موسوعة الهولوكوست - أربعة مجلدات (التى قام بتحريرها اسرائيل جوتمان) أعطته «دوراً بارزاً» . ويحتل المفتى موقعا رفيعا فى متحف الهولوكوست : ويقول توم سجيف : إن الزائر للمتحف له أن يستنتج بأن هناك سمات مشتركة كثيرة بين مخططات النازية للقضاء على اليهود وعداء العرب لإسرائيل .. وفى حفل لإحياء ذكرى أوشويتز شارك فيه رجال الدين من جميع المذاهب الدينية ، اعترض ويزل فقط على وجود قاضى مسلم قائلا : هل نسينا الحاج أمين الحسينى مفتى القدس، صديق هنريك هيملر ؟ فإذا كان المفتى يحتل مكانا بارزا فى الحل النهائى لهتلر، فالعجيب هو أن اسرائيل لم تقدمه إلى العدالة مثل إيخمان . فقد كان يعيش فى لبنان بعد الحرب .

وفى أعقاب غزو اسرائيل الفاشل للبنان عام ١٩٨٢ والهجوم العنيف على ادعاءات الدعاية الإسرائيلية الرسمية من قبل «المؤرخين الجدد» فى اسرائيل ، جاهد المؤيديون والأنصار فى محاولة وصم العرب بالنازية . وخصص المؤرخ المعروف برنارد لويس فصلا كاملا من تاريخه الموجز للعداء للسامية، وثلاث صفحات من تاريخه المختصر للألفى عام الاخيرة للشرق الأوسط : إلى النازية العربية . وفى الجانب الليبرالى من طيف الهولوكوست، قال مايكل بيرنبوم من المتحف التذكارى

للهولوكوست فى واشنطن، « إن الحجارة التى يلقيها الشباب الفلسطينى تعبيرا عن غضبهم من وجود اسرائيل، لا تشبه الاعتداء النازى على المدنيين اليهود الذين لا حول لهم ولا قوة » .

ولعل أحدث عمل أدبى عن الهولوكوست كتاب دانيال جونا جولدهاجن .. جلادو هتلر المتطوعون .. فقد قامت كل مجلة مهتمة بنشر عرض أو أكثر له خلال اسابيع من صدوره . ونشرت النيويورك تايمز عدة ملاحظات عنه ووصفته بأنه «من الكتب الجديدة النادرة التى تستحق ان يطلق عليها » نقطة تحول، وقد بيعت منه نصف مليون نسخة وترجم إلى ١٣ لغة، وقالت عنه مجلة التايم «أكثر الكتب التى يتحدث عنها الناس وثانى أفضل كتاب غير خيالى فى العام» .

وتحدث إيلى ويزل عن «البحث العميق » وغزارة الأدلة والشواهد .. مع العديد من الوثائق والحقائق ، وقال إن هذا الكتاب «مساهمة هائلة فى فهم الهولوكوست وتعليمه ، وأثنى إسرائيل جوتمان عليه » لأنه طرح أسئلة جوهرية من جديد تقول إنه تم تجاهل الهيكل الرئيسى لأدب وثقافة الهولوكوست . ورشح جولد هاجن لمنصب استاذ الهولوكوست فى جامعة هارفارد، ووضع اسمه مع ويزل فى أجهزة الإعلام القومية وسرعان ما أصبح له وجود شامل فى محيط الهولوكوست .

والموضوع محور كتاب جولد هاجن هو الاعتقاد بالهولوكوست : لقد اغتنم الشعب الألمانى -بسبب كراهيته المرضية لليهود - الفرصة التى أتاحها له هتلر لقتل اليهود . وقد قام أحد كبار الكتاب عن الهولوكوست يهودا بوير - المحاضر بالجامعة العبرية ومدير المتحف التذكارى للهولوكوست - باحتضان هذا المبدأ أحيانا . وفى استعراضه للحالة العقلية لمرتكبى المحرقة قبل سنوات كتب بوير يقول : لقد قتل اليهود أناس لم يكرهوهم فعلا بدرجة كبيرة ... ولم يكن على الألمان أن يكنوا الكراهية لليهود لكى يقتلوهم . ومع ذلك ، وفى عرض لكتاب جولدهاجن مؤخرا ،

أبدى بوير رأيا مضاداً وقال .. لقد سيطرت أشد مواقف القتل الراديكالية منذ نهاية الثلاثينات .. وعند اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية اتفقت الغالبية العظمى من الألمان مع النظام الحاكم وسياساته المعادية للسامية إلى درجة أنه كان من السهل تجنيد القتلة .. وسئل بوير عن هذا الاختلاف فأجاب : لا أجد تناقضا بين هاتين العبارتين » .

وبالرغم من أن كتاب «جلادو هتلر المتطوعون » يحمل طابع دراسة أكاديمية إلا انه ليس سوى خلاصة وافية للعنف السادى . ولا عجب إذن فى دفاع جولد هاجن القوى عن ويلكوميرسكى حيث قال .. كتاب جلادو هتلر هو كتاب الشظايا مع هوامش ، وهو حافل بسوء عرض لمصادر المادة والتناقضات الداخلية، ويخلو من أية قيمة علمية . وقد سجلت روث بيتينا بيرن وهذا الكاتب فى كتاب «شعب فى مرحلة اختبار» زيف مشروع جولدهاجن .. ويبرز الجدل التالى النشاط الداخلى لصناعة الهولوكوست .

قامت بيرن - المرجع العالمى الرئيسى للأرشيف الذى رجع له جولدهاجن بنشر أول نتائج مهمة توصلت إليها فى مجلة كامبريدج التاريخية . ورفض جولدهاجن دعوة المجلة إلى تقديم رد كامل، ولكنه استعان بمكتب محاماة كبير فى لندن لمقاضاة بيرن ومطبعة جامعة كمبريدج بسبب عمليات قذف وتشهير خطيرة . وطالب محامو جولدهاجن من بيرن نشر اعتذار والتراجع عما نشرته والتعهد بعدم العودة إلى هذا النقد ، ثم هددوها بأن أية دعاية أو نشر من جانبها بسبب هذه الرسالة معناه زيادة التعويض عن هذه الاضرار .

وبعد أن نشر الكاتب النتائج النقدية فى مجلة اليسار الجديد ، وافقت ميتروبوليتان - التى تحمل اسم الناشر هنرى هولت - على نشر المقالين فى كتاب . وفى تقرير على الصفحة الأولى حذرت المقدمة بأن ميتروبوليتان تستعد لإصدار

كتاب من تأليف نورمان فينكلشتاين - أحد الخصوم الإيديولوجيين المعروفين لدولة إسرائيل - وتقوم المقدمة بدور المنفذ الرئيسى «لتصحيح الهولوكوست» فى الولايات المتحدة .

وزعم رئيس رابطة العداء للتشهير أبراهام فوكسمان أن تحيز فينكلشتاين وأقواله الجريئة تستند بصورة لا سبيل إلى إنكارها إلى موقفه المعادى للصهيونية، وناشد هولت إلى عدم نشر الكتاب : وقال : القضية ليست ما إذا كان موضوع جولد هاجن صحيحا أم لا، ولكن .. ما هو النقد المشروع وما هو غير ذلك . وقد أجابت سارة بيرشتيل - الناشر المشارك فى ميتروبوليتان بقولها : القضية هى بالتحديد ما إذا كان موضوع جولدهاجن صحيحا أم لا؟.

وتدخل ليون ويزليتر - المحرر الأدبى لمجلة نيوريببلك المؤيدة لإسرائيل- شخصيا لدى رئيس مؤسسة هولت مايكل ناعومان : أنت لا تعلم من هو فينكلشتاين.. إنه السم بعينه .. إنه يهودى مثير للاشمئزاز ويكره نفسه .. وهو شئ تجده تحت صخرة .. ووصف إيلان شتينبرج المدير التنفيذى للمؤتمر اليهودى العالمى ، قرار هولد بأنه عار وقال .. إذا أرادوا أن يجمعوا النفايات فعليهم أن يرتدوا الملابس الصحية الخاصة بذلك.

وذكر ناعومان .. لم أعرف محاولة مماثلة لأطراف معنية تلقى ظلا على عملية نشر قادمة .. وكتب المؤرخ والصحفى الإسرائيلى المعروف توم سجيف فى صحيفة هاآرتس يقول : إن الحملة تصل إلى حد «الإرهاب الثقافى» .

وتعرضت بيرن للهجوم من المنظمات اليهودية الكندية باعتبارها كبيرة المؤرخين فى قسم جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية فى وزارة العدل الكندية . وزعم المؤتمر اليهودى الكندى أننى لعنة عند السواد الاعظم من اليهود فى القارة، واستنكر مشاركة بيرن فى هذا الكتاب . وقام المؤتمر اليهودى الكندى بممارسة الضغط من

خلال صاحب العمل الذى تعمل لديه وقدم احتجاجا لدى وزارة العدل . وضمت هذه الشكوى إلى تقرير للمؤتمر اليهودى يصفها بأنها «أحد أفراد جنس مجرم» (فهى ألمانية المولد) وسرعان ما أدى ذلك إلى تحقيق رسمى معها .

وحتى بعد نشر الكتاب لم يتوقف الهجوم على المشاعر والعواطف . فقد زعم جولدهاجن أن بيرن التى اتخذت من مقاضاة مجرمى الحرب النازيين محور حياتها ، هى من ناشرى العداء للسامية، واننى قلت بأن ضحايا النازية ، بما فى ذلك أسرتى، يستحقون الموت . ووقف مع جولدهاجن زملاؤه فى مركز هارفارد للدراسات الأوروبية وخاصة ستانلى هوفمان وتشارلز ماير .

ووصفت مجلة نيوريببلك الاتهامات بالرقابة بأنها «شائعة كاذبة» وقالت انه لا فرق بين معايير الرقابة والتأييد . وحصل كتاب «شعب فى مرحلة اختبار» على موافقة واستحسان من كبار المؤرخين للهولوكوست النازى بما فيهم راؤل هيلبرج وكريستوفر براوننج وإيان كيرشو . ورفض نفس الأدباء كتاب جولدهاجن، ووصفه هيلبرج بأنه معايير «لا قيمة لها» بالفعل .

ولنستعرض فى النهاية الوضع : أيد ويزل وجوتمان جولدهاجن، وناصر ويزل كوسينسكى، وساند هوتمان وجولدهاجن ويلكوميرسكى، ولنربط الأطراف معا : هذا هو أدب الهولوكوست .

وبالرغم من التكرار والإدمان لا يوجد ما يدل على أن الذين ينكرون الهولوكوست ويرفضونه فى الولايات المتحدة يمارسون نفوذا أقوى مما يمارسه المجتمع كله . وبالرغم من الهراء الذى تطلقه صناعة الهولوكوست يوميا ، فالمدهش انه كان هناك عدد قليل من المتشككين . وكان من السهل معرفة الدافع وراء الزعم بانتشار إنكار الهولوكوست . وفى مجتمع مشبع بالهولوكوست كيف يمكن تبرير افتتاح المزيد من المتاحف ونشر الكتب والمناهج والأفلام والبرامج سوى رفع شبح إنكار الهولوكوست؟

لذلك نشر كتاب ديبورا ليبستات «إنكار الهولوكوست» ونتائج استطلاع وضعته اللجنة اليهودية الأمريكية بصورة غير ملائمة وسخيفة يزعم انتشار إنكار الهولوكوست، افتتاح المتحف التذكارى للهولوكوست فى واشنطن[1].

وكان كتاب إنكار الهولوكوست صورة محدثة للملفات « المعاداة للسامية » . ومن أجل توثيق انتشار هذا الإنكار ، أشارت ليبستات إلى عدد من المطبوعات الرديئة ، وأبرزها أرثر بوتز - تافه يدرس الهندسة الكهربائية فى جامعة نورث ويسترن وقد نشر كتابه أكذوبة القرن العشرين لدى مطبعة غير معروفة . ووضعت ليبستات الفصل الخاص به تحت عنوان «دخول التيار العام» ولولا ليبستات لما سمع أحد بأمثال بوتز .

وفى الحقيقة إن أحد الصادقين فى إنكار الهولوكوست هو برنارد لويس . وقد أدانت محكمة فرنسية لويس بإنكاره لعملية الإبادة . ونفى لويس إبادة الاتراك للأرمن فى الحرب العالمية الأولى، وليست إبادة النازى لليهود، ولويس من المؤيدين لإسرائيل ، وعلى ذلك ، فإن واقعة إنكار المحرقة لا تثير أية متاعب فى الولايات المتحدة . وتركيا حليف لاسرائيل وهذا يخفف من حدة الأمور . لذلك ، فان ذكر إبادة الأرمن غير جائز أو مباح . وقد انسحبت إيلى ويزل والحاخام أرثر هيرتزبرج واللجنة اليهودية الأمريكية وياد فاشيم من مؤتمر دولى حول الإبادة فى تل أبيب لأن المشرفين عليه، رغم إلحاح الحكومة الإسرائيلية ، خصصوا جلسات حول قضية الأرمن. وقد حاولت ويزل من جانبها إجهاض المؤتمر، ودعت الآخرين - على حد قول يهودا بوير- إلى عدم الحضور . وبإيعاز من إسرائيل قام مجلس الهولوكوست

(١) أثار الاستطلاع المذكور الحيرة والارتباك إذ كان السؤال يقول : هل يبدو ممكنا أو هل يبدو مستحيلا لك فى أن إبادة اليهود على يد النازى لم تحدث أبداً ؟ أجاب ٢١٪ من المشاركين : إنه يبدو ممكنا . وفى استطلاع لاحق بعد إعادة صياغة السؤال وصل إنكار الهولوكوست إلى الصفر . وفى استطلاعات فى ١١ دولة كان عدد الذين ينكرون الهولوكوست قليلاً .

الأمريكي بالفعل بحذف الإشارة إلى الأرمن فى متحف الهولوكوست التذكارى فى واشنطن وعارض المؤيدون لليهود فى الكونجرس الاحتفال بذكرى يوم إبادة الأرمن .

ومما لا شك فيه أن التشكك فى شهادة أحد الناجين من المحرقة، واستنكار دور المتواطئين اليهود والقول أن الألمان تعرضوا للمعاناة أثناء قصف درسدن أو أن دولة غير ألمانيا اقترفت جرائم فى الحرب العالمية الثانية ، كل هذا دليل، فى رأى ليبستات ، على إنكار الهولوكوست . والادعاء بأن ويزل استفاد من صناعة الهولوكوست أو حتى التشكك فيما يقول، يصل إلى حد إنكار الهولوكوست.

ولعل أشد صور إنكار الهولوكوست مكراً وغدراً عند ليبستات ، هى المقارنات اللا أخلاقية - أى إنكار تميز الهولوكوست - ولهذا الادعاء مدلولات خادعة . ويقول أرثر جولدهاجن «إن أفعال الصرب فى كوسوفو تختلف فى جوهرها عن تلك التى ارتكبتها ألمانيا النازية من حيث مداها ، وهذا فى «حد ذاته» يجعل جولدهاجن من الذين ينكرون الهولوكوست . وعلى الصعيد السياسى ، يقارن المعلقون الإسرائيليون ما ارتكبه الصرب فى كوسوفو بأفعال إسرائيل عام ١٩٤٨ ضد الفلسطينيين . ويرى جولدهاجن أن اسرائيل ارتكبت محرقة .. ولم يعد الفلسطينيون انفسهم يزعمون ذلك .

ولا يمكن القول أن كل المؤلفات المتشددة - بغض النظر عن سفاهة سياسة ممارسيها أو دافعهم - غير ذات فائدة تماما . وتصف ليبستات ديفيد إيرفنج بأنه من « أخطر المتحدثين عن إنكار الهولوكوست (وخسر مؤخرا قضية تشهير فى انجلترا ضدها وضد غيرها) . ومع ذلك، فان إيرفنج - رغم شهرته كأحد المعجبين بهتلر والمتعاطفين مع الاشتراكية القومية الألمانية ، ساهم، فى رأى جوردون كريج ، «مساهمة » فى معرفتنا بالحرب العالمية الثانية . ويورد أرنو ماير فى دراسته المهمة للمحرقة النازية وراؤل هيلبرج المطبوعات التى تنكر الهولوكوست . ويقول

هيلبرج : إذا أراد هؤلاء ان يتكلموا فليفعلوا ذلك .. فسيؤدى ذلك إلى قيام الباحثين بإعادة فحص ما يعتبرونه شيئا واضحا .. وهذا مفيد لنا .

والذكرى السنوية للهولوكوست من الأعياد القومية .. وتحتفل بها جميع الولايات الخمسين، غالبا فى مبنى المجلس التشريعى للولاية .. وتضم قوائم اتحاد منظمات الهولوكوست أكثر من ١٠٠ مؤسسة فى الولايات المتحدة، وتوجد فى أمريكا سبعة متاحف كبرى للهولوكوست، أكبرها وأهمها متحف واشنطن .

والسؤال الأول الذى يتبادر إلى الذهن هو لماذا يوجد فى العاصمة متحف للهولوكوست يمول على الصعيد الفيدرالى[١]. ولعل وجود هذا المتحف فى واشنطن مول ينطوى على تناقض وتضارب نظراً لعدم وجود متحف تذكارى للجرائم التى ارتكبت فى التاريخ الأمريكى . ولنتصور الاتهامات الشديدة بالنفاق والكذب التى ستصدر لو قامت ألمانيا بإنشاء متحف وطنى فى برلين لتخليد ذكرى الرق فى أمريكا أو إبادة السكان الأصليين فى أمريكا وليس الإبادة النازية .

وكتب مصمم متحف الهولوكوست .. يحاول المتحف بمنتهى الدقة الامتناع عن أية خطوة للتثقيف، أو التلاعب بالمشاعر أو العواطف .،. ومع ذلك غرق المتحف فى السياسة ابتداء من الفكرة وحتى الانتهاء من البناء .. وعندما كانت حملة إعادة الانتخاب تلوح فى الأفق ، قام جيمى كارتر بالمشروع لتهيئة المتبرعين والناخبين اليهود الذين غضبوا من اعتراف الرئيس «بالحقوق المشروعة» للفلسطينيين . ونتد الحاخام اليكسندر سيندلر رئيس مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية الكبرى باعتراف كارتر بإنسانية الفلسطينيين معتبراً ذلك مبادرة «مذهلة» . وأعلن كارتر عن الخطط الخاصة بالمتحف أثناء زيارة رئيس الوزراء الاسرائيلى مناحم بيجن

(١) فشلت محاولات إقامة متحف وطنى أمريكى - افريقى فى واشنطن مول، وقد الح بهذه المحاولة السيناتور جيس هيلمز من كارولينا الشمالية . وتبلغ ميزانية متحف الهولوكوست فى واشنطن ٥٠ مليون دولار سنويا، منها ٣٠ مليونا مدعومة من الحكومة الاتحادية .

لواشنطن وفى خضم معركة مع الكونجرس حول اقتراح الحكومة بيع اسلحة إلى السعودية. وبرزت فى خلال عملية المتحف قضايا سياسية أخرى .. وخففت هذه الخطوات من الخلفية المسيحية للعداء للسامية عند الأوروبيين من أجل عدم إثارة سخط دائرة إنتخابية قوية . وخفف ذلك من حصص الهجرة الأمريكية القائمة على التمييز قبل الحرب، وبالغ من دور الولايات المتحدة فى تحرير معسكرات الاعتقال، وتجاوزت بصمت عن التجنيد الواسع الذى قامت به واشنطن لمجرمى الحرب النازيين بنهاية الحرب . وكانت رسالة المتحف الأولى هى «أننا» لا يمكن أن نفكر ناهيك عن ارتكاب مثل هذا الأفعال الشريرة ويقول مايكل بيرنبوم ،فى كتاب دليل المتحف «إن الهولوكوست أصاب روح الشعب الأمريكى ، ونرى فى اقترافه انتهاكا لكل قيمة أمريكية أساسية» ويمثل متحف الهولوكوست الدرس الصهيونى وهو أن اسرائيل ، « هى الرد المناسب على النازية » مع المشاهد النهائية للناجين اليهود وهم يناضلون لدخول فلسطين .

وقد بدأت عملية التسييس قبل أن يجتاز المرء عتبة المتحف . فهو يقع فى منزل راؤل وولنبرج . وقد جرى تكريم وولنبرج - وهو دبلوماسى سويدى - لأنه شارك فى إنقاذ الآلاف من اليهود وانتهى به المطاف إلى سجن سوفيتى . ولم يكرم السويدى الكونت فولك برنادوت لأنه على الرغم من إنقاذه للآلاف من اليهود ، فقد أمر رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق إسحق شامير باغتياله لأنه شديد « الولاء للعرب » .

وعلى أية حال، فان النقطة الأساسية فى سياسة متحف الهولوكوست لها تأثير على من نحيى ذكراه . فهل كان اليهود هم الضحايا الوحيدون للهولوكوست ، أم هل نعتبر الآخرين الذين هلكوا نتيجة الاضطهاد النازى ضحايا أيضا ؟ وفى مراحل التخطيط للمتحف ، قاد إيلى ويزل (ويهودا بوير من ياد فاشيم) الحملة لإحياء

ذكرى اليهود فقط . وباعتبار ويزل الخبير الأوحد فى فترة الهولوكوست ، دعا إلى إعادة إحياء فكرة اليهود كضحايا .. وقال .. كما هو الحال دائما ، فقد بدأوا كيهود ..ولكنهم ، لم يتوقفوا عند اليهود وحدهم .. ومع ذلك لم يكن اليهود هم أول الضحايا السياسيين وإنما الشيوعيون ، كما لم يكن اليهود ، وانما المعاقون ، هم أول ضحايا الإبادة النازية .

وكان تبرير عملية البدء بإبادة الغجر يمثل التحدى الرئيسى أمام متحف الهولوكوست . وقد أباد النازيون نحو نصف مليون من الغجر ، مع خسائر متساوية تقريبا لإبادة اليهود .. ويقول كتاب الهولوكوست أمثال يهودا بوير : إن الغجر لم يسقطوا ضحايا نفس حملة الإبادة التى تعرض لها اليهود .. وقال مؤرخو المحرقة المحترمين مثل هنرى فريد لاندر وراؤل هيلبرج إنهم تعرضوا لنفس عملية الإبادة .

وهناك دوافع عديدة وراء تهميش إبادة الغجر فى المتحف . أولا : لا يستطيع أن يقارن المرء ببساطة فقدان حياة الغجر واليهود . ويعرب المدير التنفيذى الحاخام سيمور سيجل - فى سخريته من الدعوة إلى تمثيل اليهود فى مجلس ذكرى للهولوكوست فى أمريكا باعتبارها شيئا لا يصدق - عن الشك فى وجود الغجر كشعب .. لابد من الاعتراف بالشعب الغجرى إلى حد ما .. إذا كان له وجود .. ومع ذلك يقول .. كان هناك عنصر معاناة فى ظل النازية .. ويشير إدوارد لينتتال إلى الشك العميق لمندوبى الغجر بالمجلس ، ويقول لقد كان ذلك نتيجة وجود دليل واضح على أن بعض أعضاء المجلس ينظرون إلى مشاركة الغجر فى المتحف مثلما تنظر الأسرة إلى الأقارب المزعجين غير المرغوبين .

ثانيا : الاعتراف بإبادة الغجر معناه فقدان حق اليهود الخاص بالهولوكوست ، مع خسارة مماثلة فى « رأس المال الأخلاقى » اليهودى . ثالثا : اذا كان النازيون قد اضطهدوا الغجر واليهود على حد سواء فمن الواضح أنه لا يمكن الدفاع عن المعتقد

القائل بأن الهولوكوست هو ذروة كراهية الأمميين القديمة لليهود . وبالمثل ، فاذا كان حق الأمميين هو الذى أدى إلى إبادة اليهود ، فهل أدى ذلك إلى إبادة الغجر ؟ وفى المعرض الدائم فى المتحف، يلقى ضحايا النازية من غير اليهود اعترافا رمزيا فقط .

وأخيرا ، لقد كان للصراع بين اسرائيل وفلسطين تأثير على شكل البرنامج السياسى لمتحف الهولوكوست . إذ قبل أن يتولى منصب مدير المتحف، كتب والتر ريتش أنشودة شكر إلى الخدعة التى كتبتها جوان بيترز .. من زمن سحيق ، تزعم أنه لم يكن فى فلسطين أحد بالفعل قبل الاستيطان الصهيونى .. وبناء على ضغط الخارجية الأمريكية ، استقالت ريتش بعد أن رفضت دعوة ياسر عرفات - أحد الحلفاء المخلصين لأمريكا الآن - لزيارة المتحف، وعرض على عالم اللاهوت جون روث منصب نائب المدير ثم أرغم على الاستقالة بسبب نقده السابق لإسرائيل . ورفض رئيس المتحف مايلز ليرمان الكتاب الذى وافق عليه المتحف أصلا لأنه تضمن فصلا بقلم بينى موريس - مورخ إسرائيلى معروف من نقاد إسرائيل - وأقسم أنه ليس من المتصور وضع هذا المتحف ضد اسرائيل» .

وفى أعقاب اعتداءات اسرائيل المروعة على لبنان عام ١٩٩٦ والتى اسفرت عن مجزرة راح ضحيتها أكثر من ١٠٠ مدنى فى قانا ، كتب آرى شافيت المعلق فى هاآرتس أن اسرائيل تستطيع أن تفلت بأفعالها لأن لدينا «رابطة العداء للتشهير وياد فاشيم ومتحف الهولوكوست» .

الفصل الثالث

الابتـــزاز المـــزدوج

يطلق مصطلح «الناجى من الهولوكوست» أساسا على أولئك الذين تعرضوا لصدمة فريدة فى الأحياء اليهودية «الغيتو» ومعسكرات الاعتقال والسخرة، ويبلغ عدد الذين نجوا من الهولوكوست بنهاية الحرب نحو ١٠٠ الف نسمة . ولا يمكن أن يتجاوز عدد الأحياء منهم ربع هذا العدد الآن . فقد أصبح تحمل حياة المعتقلات والمعسكرات رمزا للشهادة، والعديد من اليهود الذين أمضوا فترة الحرب فى أماكن أخرى يصورون أنفسهم على أنهم من الناجين من المعسكرات . وثمة دافع مادى قوى آخر وراء سوء التمثيل والتشويه ، لقد قدمت الحكومة الألمانية بعد الحرب تعويضات إلى اليهود الذين كانوا فى الغيتو أو المعتقلات . وقام الكثير من اليهود بتزوير ماضيهم لكى تنطبق عليهم هذه الشروط .. وقد اعتادت أمى أن تقول : إذا كان كل شخص يدعى أنه من الناجين (من المعتقلات) هو فعلا كذلك ، فمن الذين قتلهم هتلر ؟؟

فى الحقيقة ألقى كثير من الباحثين ظلالا من الشك حول صدق شهادة الناجين . فيقول هيلبرج : من الممكن أن تكون شهادات الشهود هى السبب فى نسبة كبيرة من الأخطاء التى اكتشفتها فى كتابى . وتذكر ديبورا ليبستات، على سبيل المثال ، حتى فى صناعة الهولوكوست أن الناجين من الهولوكوست غالبا ما يقولون أنهم تعرضوا شخصيا للاستجواب على يد جوزيف مينجل فى أوشويتز .

ومن الممكن التشكك فى شهادة بعض الناجين من الهولوكوست لأسباب إضافية خلافا لضعف الذاكرة . ونظراً لما يتمتع به الناجون من التقديس والاحترام، فالمرء لا يجرؤ على الشك بهم . والأقوال المنافية للمنطق لا يعلق عليها أحد . ويقول إيلى

ويزل فى مذكراته انه كان حديث التحرر من بوتشنفالد وعمره ١٨ عاما فقط . وقرأ مقالة العقل البحت - باللغة الايديشية ، ومع إغفال كلمات الشكر من ويزل كنت آنذاك «جاهلا تماما » بقواعد الإيديشية، ولم يترجم ذلك المقال أبداً إلى هذه اللغة . ويتذكر ويزل بالتفصيل الدقيق «عالم تلمود غامض» أتقن المجرية فى أسبوعين ، لإثارة دهشتى فحسب . ويقول ويزل لمجلة يهودية أسبوعية انه «غالبا ما يحتبس صوته أو يفقده وهو يقرأ كتبه بصوت عال لنفسه» . ويقول لمندوب للنيويورك تايمز أن سيارة صدمته ذات يوم فى ميدان التايمز ، وطار فوق مجموعة من المبانى وسقط عند الشارع ٤٥ وبرودواى ، ونقلته سيارة الاسعاف فى الشارع ٤٤ ، ويقول ويزل متنهداً : الحقيقة التى أعرضها بعيدة كل البعد عن الزخرفة ، لأننى لا أستطيع أن أفعل غير ذلك .

وفى السنوات الأخيرة، تمت إعادة تعريف «الناجى من الهولوكوست» لتعريف الذين تحملوا المعاناة والذين استطاعوا أن يتهربوا من النازية . وهذا يشمل أكثر من ١٠٠ الف يهودى بولندى لجأوا إلى الاتحاد السوفيتى بعد الغزو النازى لبولندا . ومع ذلك، يذكر المؤرخ ليونارد دينرشتاين إن الذين عاشوا فى روسيا لم يعاملوا بصورة مختلفة عن المواطنين، فى حين أن الذين نجوا من معسكرات الاعتقال أشبه بالأموات الأحياء . ويقول أحد المشاركين فى موقع شبكة عن الهولوكوست إنه بالرغم من قضاء فترة الحرب فى تل أبيب ، إلا إنه أحد الناجين من الهولوكوست لأن جدته قضت نحبها فى أوشويتز .. ووفقا لرأى اسرائيل جوتمان ... فإن ويلكو ميرسكى هو أحد الناجين من الهولوكوست لأن «آلامه حقيقية» . وقد حدد مكتب رئيس وزراء اسرائيل مؤخرا عدد الأحياء الناجين من الهولوكوست : بنحو المليون . وليس من العسير معرفة الدافع الرئيسى وراء هذا التعديل بزيادة العدد . ومن الصعب تقديم طلبات جديدة كثيرة للتعويضات إذا كان عدد الأحياء الناجين من

الهولوكوست بسيطا . وفى الواقع، دخل الشركاء الرئيسيون لويلكوميرسكى فى شبكة تعويضات الهولوكوست بطريقة أو اخرى . وحصلت صديقته من عهد الطفولة من أوشويتز «لورا الصغيرة» علىٰ أموال من صندوق هولوكوست سويسرى على الرغم من أنها فى الواقع كانت أمريكية المولد من المترددين على جماعات عباد الشيطان . وكان كبار الراعين له من الإسرائيليين نشيطين فى أو تدعمهم منظمات لها باع فى تعويضات الهولوكوست .

وتعطينا قضية التعويضات رأيا فريداً فى صناعة الهولوكوست . فقد رأينا أن المانيا تحالفت مع الولايات المتحدة فى الحرب الباردة ، لذلك سرعان ما تم رد اعتبارها إليها وأخذ الهولوكوست النازى طريقه إلى طى النسيان . ومع ذلك ، وفى مطلع الخمسينات ، دخلت المانيا فى مفاوضات مع المؤسسات اليهودية ووقعت اتفاقيات التعويضات، وبشئ من الضغط الخارجى - إن وجد - دفعت حتى الآن ما يقرب من ٦٠ بليون دولار .

ولنقارن سجل أمريكا أولاً . لقد راح ضحية حروب الولايات المتحدة فى الهند الصينية نحو ٤-٥ ملايين من الرجال والنساء والأطفال ، ويقول أحد المؤرخين أنه بعد الانسحاب الأمريكى كانت فيتنام بحاجة إلى العون والمساعدة ، فقد تم فى الجنوب تدمير تسعة آلاف من أصل ١٥ ألف قرية صغيرة ، و٢٥ مليون هكتار من الأراضى الزراعية و ١٢ مليون هكتار من الغابات ، وهلك ١,٥ مليونا من حيوانات المزارع ، وكان هناك ٢٠٠ ألفا من البغايا و ٨٧٩ ألفا من الأيتام و١٨١ ألفا من المعاقين ومليون أرملة ، وتعرضت جميع المدن الصناعية الست فى الشمال إلى أضرار بالغة مثلما حدث فى كثير من المدن الصغيرة والقرى فى الريف ، وفى أربعة آلاف من خمسة آلاف وثمانمائة كوميون (قرى تعاونية) زراعى . ومع ذلك رفض الرئيس كارتر دفع أية تعويضات قائلاً : إن الدمار كان متبادلاً . وأعلن وزير

دفاع الرئيس كلينتون - ويليام كوهين - أنه لا يرى ما يدعو للاعتذار عن الحرب ذاتها .. وقال : لقد تضرر الشعبان من ذلك ، لقد خرجوا من الحرب بجراح وأذى ونحن كذلك .

لقد أرادت الحكومة الألمانية تعويض الضحايا اليهود من خلال اتفاقيات مختلفة وقعت عام ١٩٥٢ ، وحصل الأفراد على تعويض بناء على نصوص قانون التعويضات ، ووقعت اتفاقية منفصلة مع اسرائيل لدعم استيعاب وإعادة تأهيل بضعة مئات الآلاف من اللاجئين اليهود . وفى الوقت نفسه تفاوضت الحكومة الألمانية على تسوية مالية مع مؤتمر التعويضات المادية اليهودية ضد المانيا ، ويضم جميع المنظمات اليهودية الكبرى بما فيها اللجنة اليهودية الأمريكية والمؤتمر اليهودى الأمريكى ، بناى بريت ، لجنة التوزيع المشتركة ، وغيرها . وكان من المفروض أن يستخدم مؤتمر التعويضات الأموال - ١٠ ملايين دولار سنويا لمدة ١٢ سنة - أو حوالى بليون دولار بالقيمة الحالية ، لمساعدة اليهود من ضحايا الاضطهاد النازى الذى سقطوا عبر الحواجز فى عملية التعويضات . وكانت أمى من هؤلاء - فقد حصلت باعتبارها من الناجين من نميتو وارسو ، ومعسكر اعتقال ماجدانيك ومعسكرات السخرة فى شيستوشوا وسكارزسكو - كامينا ، على ثلاثة آلاف وخمسمائة دولار تعويضات من الحكومة الألمانية . وحصل ضحايا يهود آخرون (وكثيرون منهم لم يكونوا ضحايا فى الواقع) على معاشات طوال حياتهم من ألمانيا بلغت مئات الآلاف من الدولارات ، وخصصت الأموال التى حصل عليها مؤتمر التعويضات للضحايا اليهود الذين حصلوا على تعويض بسيط فقط .

فى حقيقة الأمر ، لقد سعت الحكومة الألمانية فى الاتفاقية مع مؤتمر التعويضات للتوضيح بأن الأموال سوف توجه إلى اليهود الذين نجوا من المحرقة - وبالتحديد - الذين حصلوا على تعويض غير عادل ، أو كاف عن طريق المحاكم الألمانية . وأعرب

المؤتمر عن غضبه للشك فى أمانته وحسن نيته ، وبعد الاتفاق أصدر المؤتمر بيانا صحفياً أوضح فيه أن الأموال سوف تستخدم لصالح الضحايا اليهود الذين اضطهدتهم النازية والذين لا يستطيع التشريع الحالى والمقترح تقديم العلاج لحالتهم. وناشد الاتفاق النهائى المؤتمر استخدام الأموال " لإغاثة وإعادة تأهيل وتوطين الضحايا اليهود " .

وعمد مؤتمر التعويضات إلى إلغاء الاتفاقية بسرعة ، وفى انتهاك صارخ لنص الاتفاقية وروحها ، لم يخصص المؤتمر الأموال لإعادة تأهيل الضحايا اليهود وإنما لإعادة تأهيل الجماعات اليهودية ، وفى الواقع ، كان أحد المبادئ الموجهة للمؤتمر تحظر استخدام الأموال " لتخصيصها مباشرة للأفراد " .. ومع ذلك ، ومن أجل الاهتمام بذات المرء ، قدم المؤتمر استثناء لفئتين من الضحايا : حصل الحاخامات " وكبار الزعماء " على مبالغ فردية خاصة ، واستخدمت المنظمات المؤسسة لمؤتمر التعويضات معظم الأموال لتمويل مختلف المشاريع المفضلة ، وأيا كانت الفوائد (إن وجدت) التى حصل عليها الضحايا اليهود الحقيقيون فقد كانت غير مباشرة أو طارئة . وقد وجهت مبالغ كبيرة إلى الجماعات اليهودية فى العالم العربى وسهلت هجرة اليهود من شرق أوروبا[١] . وقد دعمت هذه المبالغ المشروعات الثقافية مثل متاحف الهولوكوست ومقاعد فى الجامعة لدراسات الهولوكوست ، والمسرح العائم لياد فاشيم وهو يمنح معاشات " للأميين الصالحين ، أى غير اليهود".

(١) رداً على سؤال وجهه النائب الألمانى مارتن هوهمان (الحزب الديمقراطى المسيحى) ، أعلنت الحكومة أن ١٥٪ من أموال التعويضات وجهت إلى اليهود من ضحايا النازية . ويقول رونالد زويج فى تاريخه الرسمى إن المؤتمر انتهك شروط الاتفاقية . وقد ساعد تدفق الأموال من المؤتمر لجنة التوزيع المشتركة على الاستمرار فى تنفيذ برامج فى أوروبا كان من الممكن إيقافها لولا ذلك .. وكان أكبر تغيير فى ميزانية لجنة التوزيع المشتركة من أموال التعويضات تخصيص مبالغ للدول الإسلامية حيث زاد نشاطها بنحو ٦٨٪ خلال السنوات الثلاث الأولى من توزيع مخصصات المؤتمر . وبالرغم من القيود الرسمية فى الاتفاقية على استخدام أموال التعويضات مع ألمانيا ، استخدمت الأموال لسد الحاجات الملحة ، وقال موسى ليفيت (كبير المسئولين فى المؤتمر) : كانت الميزانية توضع حسب أولويات الاحتياجات داخل اسرائيل وخارجها والبلدان الإسلامية . فأموال المؤتمر هى جزء من صندوق عام لتلبية الأولويات من احتياجات اليهود .

وقد حاول مؤتمر التعويضات مؤخراً أن يستعيد الممتلكات اليهودية التى رفع عنها التأميم فى ألمانيا الشرقية سابقاً والتى تصل قيمتها إلى مئات الملايين من الدولارات والتى تعود إلى ورثة يهود على قيد الحياة . ونظراً للهجوم على المؤتمر من اليهود الذين تعرضوا للاحتيال ، بسبب هذه المخالفة وغيرها ، حمل الحاخام آرثر هيرتزبرج على الجانبين وقال غاضباً .. المسألة لا تتعلق بالأموال ، وإنما هو صراع من أجل المال .. وعندما يرفض الألمان أو السويسريون دفع تعويضات ، كان سخط يهود أمريكا يصل إلى عنان السماء ، ولكن عندما تستولى الطبقة اليهودية الراقية على أموال الناجين اليهود ، لا تثور قضايا أخلاقية : وإنما الأمر يتعلق بالمال .

وعلى الرغم من أن أمى الراحلة حصلت فقط على ٣٥٠٠ دولار من التعويضات، حصل آخرون من هذه العملية على مبالغ كبيرة ، وورد أن الراتب السنوى لشاؤل كاجان السكرتير التنفيذى لمؤتمر التعويضات لمدة طويلة ، مبلغ ١٠٥٠٠ دولار ، وقد أدين كاجان فى ٣٣ مخالفة من تعمد سوء صرف الأموال والائتمانات أثناء رئاسته لأحد بنوك نيويورك . (وقد أسقطت هذه الإدانة بعد الاستئناف) . وقد توسط السيناتور السابق الفونس داماتو من نيويورك فى قضايا الهولوكوست ضد بنوك المانية ونمسوية مقابل ٣٥٠ دولار فى الساعة بالإضافة إلى النفقات . وحصل خلال الأشهر الستة الأولى من عمله على ١٠٣٠٠٠ دولار ، وامتدح ويزل داماتو على " شعوره الحساس نحو آلام اليهود " . ويبلغ راتب لورنس إيجل برجر - وزير الخارجية فى عهد الرئيس بوش - على ٣٠٠٠٠٠ دولار سنويا كرئيس للهيئة الدولية الخاصة بمطالبات التأمين عن فترة الهولوكوست . ويقول إيلان شتاينبرج من المؤتمر اليهودى العالمى : مهما كانت المبالغ التى تدفع له ، فهى صفقة مطلقة .. ويحصل كاجان كل ١٢ يوما وايجل برجر كل ٤ أيام وداماتو كل ١٠ ساعات على ما حصلت عليه أمى مقابل المعاناة ست سنوات من الاضطهاد النازى .

ولعل الجائزة الأولى لأكبر مروجي الهولوكوست يجب أن ينالها كينيث بيالكن ، الذى كان أحد كبار زعماء اليهود فى أمريكا لعدة عقود من الزمن ، فقد ترأس رابطة العداء للتشهير ومؤتمر رؤساء كبرى المنظمات اليهودية الأمريكية ، وهو يمثل فى الوقت الحاضر شركة جنرال للتأمين ضد اللجنة التى يرأسها إيجل برجر مقابل " مبلغ كبير من المال " .

وأصبحت صناعة الهولوكوست فى السنوات الأخيرة وسيلة للابتزاز الصارخ . وفى السعى لتمثيل جميع يهود العالم ، الأحياء منهم والأموات ، تطالب هذه الصناعة بأرصدة اليهود خلال عصر الهولوكوست فى أوروبا كلها. وقد صحت تسمية ذلك بالفصل الأخير للهولوكوست ، ومن هنا كان الهدف الأول الابتزاز المزدوج للدول الأوربية والمطالبين اليهود الحقيقيين هو سويسرا . وسوف أتناول أولا المزاعم ضد السويسريين ، ثم استعرض الدليل لأكشف كيف أن الكثير من الاتهامات لا تقوم على خداع فحسب بل تنطبق بصورة أدق على الذين أطلقوها أكثر من أهدافهم .

وبمناسبة الاحتفال بالذكرى الخمسين لنهاية الحرب العالمية الثانية ، قدم الرئيس السويسرى إعتذاراً رسمياً فى مايو ١٩٩٥ لرفض منح اليهود اللجوء أثناء المحرقة النازية . وفى الوقت نفسه تقريبا ، عاد النقاش من جديد حول المسألة القديمة المتعلقة بأرصدة اليهود التى أودعت فى حسابات سويسرا قبل نشوب الحرب وأثنائها ، وفى قصة انتشرت على نطاق واسع ، أشار صحفى إسرائيلى إلى وثيقة - لم تفهم على الوجه الصحيح كما ثبت - تبين أنه لا تزال لدى بنوك سويسرا حسابات يهودية منذ عهد الهولوكوست ببلايين الدولارات .

واغتنم المؤتمر اليهودى العالمى - منظمة كانت فى حالة سبات حتى قامت بحملتها ضد كورت فالدهايم ووصفته بأنه مجرم حرب - هذه الفرصة الجديدة

لاستعراض عضلاته . وقبل ذلك ، كان الرأى هو أن سويسرا فريسة سهلة ، إذ أن قلة من الناس سوف يتعاطفون مع رجال البنوك الأغنياء من السويسريين ضد الناجين المحتاجين من الهولوكوست . ولعل الأهم من ذلك هو أن بنوك سويسرا كانت مكشوفة تماما للضغوط الاقتصادية من الولايات المتحدة .

وفى أواخر عام ١٩٩٥ ، اجتمع إدجار برونغمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى ونجل أحد المسئولين فى مؤتمر التعويضات اليهودية والحاخام إسرائيل سينجر ، سكرتير عام المؤتمر اليهودى العالمى وأحد زعماء سوق العقارات ، مع رجال البنوك السويسريين . وقال برونغمان - وريث ثروة سيجرام للمشروبات الروحية (تقدر ثروته الخاصة بثلاثة بلايين دولار) - أنه أبلغ لجنة المصارف فى مجلس الشيوخ أنه تكلم " باسم الشعب اليهودى " " والستة ملايين ، الذين لا يستطيعون أن يتحدثوا بلسان حالهم " . وأعلن المصرفيون السويسريون أنهم استطاعوا تحديد ٧٧٣ حسابا معلقا لم يطالب به أحد ، بمبلغ مقداره ٣٢ مليون دولار . وعرضوا تقديم هذا المبلغ كأساس للمفاوضات مع المؤتمر اليهودى العالمى ، الذى رفض المبلغ باعتباره غير كاف . وفى ديسمبر عام ١٩٩٥ انضم برونغمان إلى السيناتور داماتو. وكان ترتيبه فى استطلاعات الرأى متدنياً جدا ، وكانت انتخابات مجلس الشيوخ ليست بعيدة ، واستغل داماتو الفرصة لتعزيز مركزه بين اليهود بأصواتهم المهمة والمتبرعين المانحين السياسيين الأغنياء فيهم . وقبل أن يمتثل السويسريون للضغط أخيراً ، حشد المؤتمر اليهودى العالمى بالتعاون مع مؤسسات الهولوكوست (ومن بينها المتحف التذكارى للهولوكوست فى الولايات المتحدة ومركز سيمون ويزنثال) المؤسسة الأمريكية برمتها . وابتداء من الرئيس كلينتون الذى تصالح مع داماتو (وكانت جلسات الاستماع فى قضية وايت ووتر لا تزال مستمرة) لتقديم المساندة ، مرورا بإحدى عشرة وكالة تابعة للحكومة الاتحادية وكذلك مجلسى

النواب والشيوخ حتى حكومات الولايات والحكومات المحلية فى البلاد ، تم حشد الضغط من الحزبين وراح المسئولون الواحد تلو الآخر يندون بالسويسريين الغادرين الخونة .

واستخدمت صناعة الهولوكست اللجان المصرفية فى الكونجرس نقطة انطلاق ، ونظمت حملة مشينة ومخزية من التشهير والتشويه . ومن خلال صحافة ساذجة ومسايرة مستعدة لنشر عناوين رئيسية لأية قصة تتعلق بالهولوكست ، وإن كانت غير صحيحة ، أثبتت حملة التشويه أنها كاسحة. ويتفاخر جريج ريكمان كبير مساعدى داماتو ، فى روايته أنه تم إرغام رجال البنوك السويسريين " على المثول أمام محكمة الرأى العام حيث كنا نسيطر على زمام الأمر . وكان المصرفيون فى القفص أمامنا ونحن القضاه والمحققون والجلادون " - ويصف توم بور - أحد كبار الباحثين فى الحملة المضادة لسويسرا- دعوة داماتو إلى إجراء جلسات استماع بأنها صورة بغيضة لمحاكمة عامة أو محكمة لا تراعى فيها مبادئ القانون والعدل.

وقد كان المدير التنفيذى للمؤتمر اليهودى العالمى إيلان شتينبرج هو الناطق بلسان القوة العنيدة المضادة لسويسرا ، وكانت مهمته نشر المعلومات المشوهة . ويقول بوير : سلاح شتينبرج هو الإرهاب عن طريق المضايقة ، لأنه يطلق سيلا من الاتهامات لكى تحدث الانزعاج والقلق والصدمة . وكانت تقارير مكتب الخدمات الاستراتيجية التى غالباً ما تعتمد على شائعات ومصادر غير موثوقة تجاهلها المؤرخون لسنوات طويلة باعتبارها غير صحيحة ، وأصبحت فجأة على درجة عالية من الصحة وانتشرت على نطاق واسع . ويقول الحاخام سينجر : إن آخر ما تحتاجه البنوك هو الدعاية السلبية .. وسوف نستمر فى ذلك إلى أن تقول البنوك .. كفى .. نريد حلا وسطا . وفى سعيه للمشاركة فى الأضواء ، زعم الحاخام مارفن هير - مدير مركز سيمون ويزنثال - إن السويسريين سجنوا اليهود اللاجئين فى

معسكرات السخرة . ويدير هير مركز سيمون ويزنثال كمشروع تجارى ، حيث تتقاضى زوجته وابنه مرتبات منه ، وبلغت رواتب أسرة هير ٥٢٠٠٠٠ دولار عام ١٩٩٥ . ويشتهر المركز بأنه متحف داتشو - ديزنى لاند ويستخدم أساليب التخويف المثير لجباية الأموال . ويقول إيتامار ليفين : فى ضوء ما تنشره أجهزة الإعلام من خلط للحقيقة والافتراض ، والواقع والخيال، فمن السهل فهم السبب وراء اعتقاد الكثيرين من السويسريين بأن بلادهم ضحية مؤامرة عالمية من نوع خاص .

وسرعان ما انحدرت الحملة إلى تشويه وتشهير بالشعب السويسرى. ويقول بوير فى دراسة أيدها داماتو ومركز سيمون ويزنثال : إن دولة يتفاخر مواطنوها أمام جيرانهم بثروتهم التى يحسدون عليها ، استفادت بالفعل من ديات القتل ، وأن المواطنين المحترمين لأكثر بلد فى العالم ميلاً للسلام ، قاموا بسرقة لم يسبق لها مثيل ، وأن الكذب نظام ثقافى يتقنه السويسريون لحماية صورة ورخاء بلادهم ، وأن السويسريين بفطرتهم ميالون إلى الأرباح الضخمة (السويسريون فقط) وأن المصلحة الذاتية هى الموجه الأعظم والدليل الأكبر لجميع بنوك سويسرا (البنوك السويسرية فقط) وأن المجموعة الصغيرة من بنوك سويسرا أصبحت أكثر شراهة وبعداً عن الأخلاق من غيرها ، وأن الدبلوماسيين السويسريين يمارسون فنون الخداع والتضليل (الدبلوماسيون السويسريون فقط) ، والاعتذارات والاستقالات ليست شائعة فى العرف السياسى السويسرى (وهذا يختلف عن العرف لدينا) ، وأن جشع السويسريين فريد من نوعه ، وأن الشخصية السويسرية تجمع بين البساطة والنفاق . وأن خلف مظهر اللطف والكياسة توجد طبقة من العناد ، وأن وراء ذلك عدم فهم أنانى شديد لرأى أى شخص آخر ، وأن السويسريين ليسوا شعبا غير جميل فحسب ، شعبا لم ينجب فنانين أو أبطالا منذ ويليام تل ولم ينجب رجال دولة ، وانما هم شعب من المتواطئين غير الشرفاء مع النازية استفادوا من الإبادة ..

وغير ذلك، ويشير ريكمان إلى هذه «الحقيقة العميقة» عن السويسريين : هناك فى الأعماق، بل أعمق مما يظنون ، توجد فى تكوينهم وتركيبتهم صلافة مستترة ضد الآخرين، ورغم محاولاتهم ، لم يستطيعوا إخفاء تربيتهم وكثير من هذه الصفات المشينة تشبه تلك التى يطلقها أعداء السامية على اليهود .

ولعل التهمة الرئيسية هى أنه كانت هناك ، فى رأى بوير ، مؤامرةسويسرية - نازية طوال خمسين عاما لسرقة البلايين من يهود أوروبا والناجين من الهولوكوست - وقد أصبحت تلك خطة ابتزاز لتعويضات الهولوكوست ، وصارت تمثل أكبر عملية سلب ونهب فى التاريخ البشرى . وبالنسبة لصناعة الهولوكوست فكل ما يخص اليهود لا بد وأن يكون فى صيغة المبالغة - الأسوأ ، الأعظم ..

فقد زعمت صناعة الهولوكوست بداية أن بنوك سويسرا منعت بصورة منتظمة الورثة الشرعيين لضحايا الهولوكوست من الوصول إلى الحسابات التى لم تستخدم والتى تقدر بـ ٧-٢٠ بليون دولار . وجاء فى قصة غلاف مجلة تايم : كان الأمر المستديم لبنوك سويسرا طوال السنوات الخمسين الماضية هى التأخير والإعاقة عند سؤال الناجين من الهولوكوست عن حسابات أقربائهم الموتى ، وفى إشارة إلى قانون السرية الذى أصدرته بنوك سويسرا عام ١٩٣٤ لمنع أى ابتزاز نازى للمودعين اليهود ، قال داماتو أمام لجنة البنوك فى مجلس النواب: أليس من المضحك أن يستخدم نفس النظام (السرية) الذى شجع الناس على فتح حسابات لكى ينكر على الناس أنفسهم ، وورثتهم تراثهم وحقوقهم ؟ لقد تم تحريف وتشويه ذلك النظام .

ويتحدث بوير عن اكتشاف جزء من دليل مهم على غدر السويسريين ضد ضحايا الهولوكست : لقد أتاح لنا الحظ والاجتهاد مادة قوية تؤكد صحة شكوى برونغمان.

وجاء في تقرير للمخابرات من سويسرا في يوليو عام ١٩٤٥ أن لدى جاك سالمانوفيتش - صاحب الشركة العامة للمراقبة والإشراف ، وهي شركة توثيق عامة ومصرف تجاري في جنيف ذات اتصالات مع دول البلقان - قائمة تضم ١٨٢ عميلا يهوديا أودعوا فيها ٨,٤ ملايين فرنك سويسري وحوالي ٩٠ ألف دولار إلى حين وصولهم من البلقان . ويضيف التقرير أن اليهود لم يطالبوا بعد بممتلكاتهم ، وقد أثار هذا الدليل سعادة ريكمان وداماتو . ويصف ريكمان في روايته ذلك على أنه " دليل على إجرام السويسريين " . ومع ذلك ، لم يذكر أي منهما في هذا العدد بالذات أن سالما نوفيتش يهودي . (سوف نناقش صحة هذه الادعاءات لاحقا) .

وفي أواخر عام ١٩٩٦ قامت مجموعة من اليهوديات المسنات ورجل واحد بالإدلاء بشهادة مؤثرة أمام لجان البنوك في الكونجرس حول جريمة رجال البنوك السويسرية ، ومع ذلك وكما قال إيتمار ليفين ، محرر صحيفة الأعمال الرئيسية في اسرائيل ، لم يكن لدى أي من هؤلاء الشهود دليل حقيقي على وجود أرصدة في بنوك سويسرا . ولتعزيز التأثير الزائف لهذه الشهادة طلب داماتو إيلي ويزل للشهادة فأعرب هذا في شهادته عن صدمة ودهشة من القول بأن مرتكبي الهولوكوست حاولوا سلب اليهود قبل قتلهم : لقد اعتقدنا في البداية أن الحل النهائي كان مدفوعا بايديولوجية مسمومة فقط . والآن أصبحنا نعلم أنهم لم يرغبوا فقط في قتل اليهود ، رغم فظاعة ذلك ، ولكنهم أرادوا أموال اليهود ، ونسمع في كل يوم المزيد من تلك المأساة ، أليس للألم حدود ؟ ألا يوجد حد للغضب ؟ بالطبع ، إن سرقة النازي لليهود ليست شيئا جديداً ، فقد خصص جزء كبير من الدراسة التي قام بها راؤل هيلبرج " تدمير يهود أوروبا " ، ونشرت عام ١٩٦١ ، لمصادرة النازي لممتلكات اليهود .

وزعم البعض أن البنوك السويسرية سرقت ودائع ضحايا الهولوكوست وأتلفت بصورة نظامية سجلات مهمة لاخفاء ما فعلته وأن اليهود فقط هم الذين تعرضوا لهذه الأشياء البغيضة .. وهاجمت عضوة مجلس الشيوخ بربارا بوكسى فى إحدى جلسات الاستماع السويسريين بقولها : لن تقبل هذه اللجنة هذا الرياء والنفاق من جانب بنوك سويسرا . لا تقولوا للعالم أنكم تبحثون فى الدفاتر بينما أنتم تمزقونها. ويا أسفاه ، سرعان ما استنزفت " القيمة الدعائية " لمطالب اليهود المسنين الذين شهدوا بالسرقة التى قام بها السويسريون ، نفسها . لذلك ، حاولت صناعة الهولوكوست استخدام أسلوب جديد لفضح ما حدث ، وركزت الحملة الإعلامية الشعواء على قيام السويسريين بشراء الذهب الذى سرقه النازيون من الخزائن المركزية فى أوروبا أثناء الحرب ، وعلى الرغم من الادعاء بأن هذا كشف مذهل إلا أنه كان معروفا فى واقع الأمر . فقد أخبر آرثر سميث مؤلف دراسة جيدة حول الموضوع ، فى جلسة استماع لمجلس النواب : استمعت طوال الصباح وبعد الظهر إلى أشياء كانت معروفة إلى حد ما ، منذ سنوات.. وقد دهشت لأن معظم هذه المادة عرض على أنه جديد ومثير . ومع ذلك ، لم تكن النقطة المهمة فى جلسة الاستماع هى التبليغ ، وإنما ، على حد قول الصحفية إيزابيل فينسنت : خلق قصص مثيرة . ولو كان ما نشر من القصص كافيا ، فسوف تستجيب سويسرا .

ولعل الادعاء الجديد فعلا هو أن سويسرا قامت بالفعل بتهريب "ذهب الضحايا"، أى أنها اشترت كميات كبيرة من الذهب قام النازيون بإعادة صبها فى قضبان بعد سرقتها من ضحايا معسكرات الاعتقال والموت . ويقول بوير : إن المؤتمر اليهودى العالمى " كان يحتاج إلى مسألة تثير الانفعالات والعواطف للربط بين الهولوكوست وسويسرا " ، لذلك، جرى اعتبار هذا الكشف الجديد عن خيانة وخداع السويسريين على أنه هبة من الله . ويضيف بوير : لم تكن هناك صور تشوه

السمعة أشد من القيام بنزع حشو الاسنان الذهب فى معسكرات الاعتقال من أفواه جثث اليهود التى سحبت من غرف الغاز . ويقول داماتو بحزن وأسى فى جلسات الاستماع بمجلس النواب : الحقائق محزنة ومؤلمة لأنها تتحدث عن سلب الأموال من البيوت والبنوك الأهلية ومن معسكرات الموت ، خاصة الساعات والقلائد وإطارات النظارات وحشو الأسنان الذهبية .

وإلى جانب منع الوصول إلى حسابات الهولوكوست وشراء الذهب المنهوب، وجهت إلى السويسريين تهمة التآمر مع بولندا والمجر لخداع اليهود ، والتهمة هى أن سويسرا اتخذت الأموال التى لم يطالب بها أحد فى حسابات سويسرية لرعايا من بولندا والمجر (كثير منهم - ليس كلهم - يهود) تعويضا عن الممتلكات السويسرية التى أممتها هذه الحكومات . ويصف ريكمان هذه الخطوة بأنها كشف مذهل لفضح السويسريين وإثارة عاصفة حارقة . غير أن هذه الحقائق كانت معروفة بالفعل ونشرت فى المجلات القانونية الأمريكية فى أوائل الخمسينات وبالرغم من هذه الدعاية الصاخبة لأجهزة الإعلام ، بلغت هذه الأموال أقل من مليون دولار بالقيمة الحالية .

وقبيل أول جلسة استماع فى مجلس الشيوخ حول هذا الحسابات المعلقة فى إبريل عام ١٩٩٦ ، وافقت بنوك سويسرا على تشكيل لجنة تحقيق والالتزام بالنتائج التى تتوصل إليها. وكلفت هذه اللجنةبذلك رسميا فى مذكرة تفاهم وقعت فى مايو عام ١٩٩٦ .

وتكونت اللجنة المستقلة من شخصيات بارزة وضمت ستة أعضاء ، ثلاثة من كل من المنظمة العالمية لتعويض اليهود واتحاد بنوك سويسرا ، وترأسها بول فولكر، الرئيس السابق لبنك الاحتياط الفيدرالى الأمريكى سابقا . كما قامت الحكومة السويسرية فى ديسمبر عام ١٩٩٦ بتعيين " لجنة خبراء مستقلة " برئاسة

البروفيسور جان فرانسوا بيرجير وضمت عالم الهولوكوست الإسرائيلى المعروف شاؤل فريد لاندر ، للتحقيق فى تجارة الذهب بين سويسرا وألمانيا ابان الحرب العالمية الثانية .

وعلى أية حال ، وقبل أن تبدأ هذه الهيئات عملها ، قامت صناعة الهولوكوست بممارسة ضغط لإيجاد تسوية مالية مع سويسرا ، واحتجت سويسرا بأن أية تسوية يجب أن تنتظر نتائج عمل اللجان ، وإلا كان ذلك ابتزازاً ، ولعب المؤتمر اليهودى العالمى بورقته الرابحة دائما وأعرب عن الحزن والأسى نحو مأساة " ضحايا الهولوكوست المحتاجين " . وقال برونغمان أمام لجنة البنوك بمجلس النواب فى ديسمبر عام ١٩٩٦ : المشكلة هى التوقيت ، وعندى جميع الناجين من الهولوكوست الذين أهتم بهم . ورفض برونغمان عرضا من سويسرا بتسوية مقدارها ٢٥٠ مليون دولار وقال : لا نريد إحسانا سوف أقدم المبلغ بنفسى ، ولكنه لم يفعل . ومع ذلك ، وافقت سويسرا فى فبراير عام ١٩٩٧ على إنشاء صندوق خاص بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار لضحايا الهولوكوست المحتاجين للمساعدة أو الدعم بطرق خاصة ، حتى تنتهى اللجان من أعمالها . (وكان الصندوق لا يزال قادراً على الوفاء بالتزاماته عندما أصدرت لجنتا بيرجير وفولكر تقريريهما) . وعلى أية حال ، لم يتوقف الضغط من صناعة الهولوكوست لإيجاد تسوية نهائية ، بل استمر فى التصاعد . ولم يصغ أحد لنداءات سويسرا الجديدة بضرورة تأخير التسوية إلى ما بعد نتائج اللجان وكان المؤتمر اليهودى العالمى هو الذى دعا أصلا إلى هذا التقدير الأخلاقى .وفى الحقيقة ، كانت صناعة الهولوكوست فقط هى التى ستخسر من هذه النتائج : إذا ثبت فى النهاية أن بعض المطالبات فقط مشروعة ، وسوف تفقد القضية ضد بنوك سويسرا مشروعيتها ، وإذا تم تحديد المدعين الشرعيين ، وحتى ولو كان عددهم كبيرا ، سوف يلتزم السويسريون بتعويض هؤلاء الناس

فقط، وليس المنظمات اليهودية ، وكانت هناك خدعة أخرى من صناعة الهولوكوست هى أن التعويض " يتعلق بالصدق والعدل " وليس بالمال . ويقول السويسريون ساخرين : الأمر لا يتعلق بالمال ، وإنما بالمزيد من الأموال .

وإلى جانب إثارة هياج العامة ، وضعت صناعة الهولوكوست استراتيجية من شقين " لإرهاب " السويسريين وإرغامهم على الخضوع والإذعان : لرفع قضايا قانونية فى المحكمة ومقاطعة اقتصادية ، ورفعت أول قضية فى أوائل أكتوبر عام ١٩٩٦ من قبل ادوارد فاجان وروبرت سويفت باسم جيزيلا ويزهوز (وأشار أبوها إلى الأموال التى أودعها فى سويسرا قبيل وفاته فى أوشويتز ، ولكن البنوك أنكرت استفساراتها بعد الحرب وغيرها فى وضع مماثل «بشأن ٢٠ بليون دولار » وبعد بضعة أسابيع رفع مركز سيمون ويزنتال بواسطة اثنين من المحامين هما مايكل هوفيلد وميلفن ويس ، قضية قانونية ثانية ، ورفع المجلس العالمى للجماعات اليهودية الأرثوذكسية قضية ثالثة فى يناير عام ١٩٩٧ . وقدمت القضايا الثلاث أمام القاضى إدوارد كورمان ، قاضى محكمة إبتدائية أمريكية فى بروكلين ، الذى أيدها . واستنكر طرف واحد فى القضية - المحامى سيرجو كاراس - من تورنتو ، هذا الأسلوب : إن القضايا القانونية لم تحقق شيئا سوى إثارة هياج الجماهير والهجوم على السويسريين . وهم يؤكدون الخرافة المتعلقة بالمحامين اليهود الذين يريدون المال فقط . وقد اعترض بول فولكر على القضايا القانونية لأنها سوف " تعرقل أعمالنا إلى درجة تجعلها غير ذات فاعلية ".. وهذا بالنسبة لصناعة الهولوكوست تخوف لا داعى له ، إن لم يكن حافزاً إضافيا .

وكانت المقاطعة الاقتصادية هى السلاح الرئيسى الذى استخدم للتغلب على المقاومة السويسرية . وفى يناير عام ١٩٩٧ حذر افراهام بورج - رئيس الوكالة اليهودية وممثل اسرائيل فى قضية البنوك السويسرية - ستكون المعركة الآن أكثر

قذارة . لقد أوقفنا الضغط اليهودى العالمى حتى الآن . وكان المؤتمر اليهودى العالمى قد بدأ بتدبير مؤامرة المقاطعة فى يناير عام ١٩٩٦ . فقد اتصل برونغمان وسينجر بمراقب حسابات مدينة نيويورك آلان هيفيس (وكان أبوه من كبار المسئولين في اللجنة اليهودية الأمريكية) ومراقب حسابات ولاية نيويورك كارل ماككول . ويستثمر المراقبان معا بلايين الدولارات فى صناديق المعاشات كما كان هيفيس رئيسا لاتحاد مراقبى الحسابات الأمريكية الذى يستثمر ٣٠ تريليون دولار فى صناديق المعاشات . وفى أواخر يناير دبر سينجر مع حاكم ولاية نيويورك جورج باتاكى ومع داماتو وبرونغمان خطة فى حفل زواج إبنته ، وقال الحاخام سينجر مازحا: أنظروا ماذا أفعل .. أمارس النشاط التجارى والأعمال فى زواج إبنتى .

وفى فبراير عام ١٩٩٦ كتب هيفيس وماككول إلى البنوك السويسرية يهددانها بعقوبات ، وأعلن حاكم الولاية باتاكى تأييده لهما فى أكتوبر ، وفى خلال الشهور التالية قدمت الحكومات المحلية وفى الولايات فى نيويورك ونيوجيرسى وورود ايلاند وإيلينوى قرارات تهدد بالمقاطعة الاقتصادية ما لم تستجب . وفى مايو عام ١٩٩٧ سحبت مدينة لوس انجلوس مئات الملايين من الدولارات فى صناديق المعاشات من بنك سويسرى ، وبذلك فرضت أول العقوبات ، وحذا هيفيس حذو ذلك بفرض عقوبات فى نيويورك وتبعتها كاليفورنيا ومساشوسيتس وإيلينوى فى غضون أيام .

وأعلن برونغمان فى ديسمبر عام ١٩٩٧ : أريد ثلاثة بلايين دولار وإلا اتجهنا نحو الشمال ، وذلك لوضع نهاية للمسألة كلها من القضايا القانونية والاجراءات التى يقوم بها فولكر وغيرها . وفى غضون ذلك ، أخذ داماتو والمسئولون فى بنوك نيويورك يعملون من أجل عرقلة نشاط يونايتد بنك أوف سويسرا (مجموعة من بنوك سويسرا الكبرى) الذى تأسس مؤخرا فى الولايات المتحدة . وحذر برونغمان

فى مارس عام ١٩٩٨ « إذا أراد السويسريون مواصلة العناد ، فيجب أن أطلب من جميع المساهمين الأمريكيين إيقاف معاملاتهم مع السويسريين ، فالأمر وصل الى نقطة لابد فيها من حل الموضوع وإلا فستكون حربا شاملة . وفى ابريل بدأ السويسريون يستجيبون للضغط، ولكنهم قاوموا الاستسلام التام . (وفى خلال عام ١٩٩٧ . أنفق السويسريون ٥٠٠ مليون دولار لإيقاف حملات صناعة الهولوكوست) . ويقول ميلفن ويس ، احد المحامين فى القضايا القانونية : هناك سرطان خبيث فى المجتمع السويسرى ، لقد أعطيناهم فرصة للتخلص منه بجرعة كبيرة من الإشعاع بتكلفة بسيطة فرفضوها . وفى يونيو قدمت البنوك السويسرية « عرضا نهائيا » بمبلغ ٦٠٠ مليون دولار .

ودهش ابراهام فوكسمان مدير رابطة العداء للتشهير من صفاقة السويسريين ولم يستطيع أن يكتم سخطه فقال : هذا الإنذار إهانة لذكرى الضحايا وذويهم الأحياء وأعضاء الطائفة اليهودية الذين اتصلوا بالسويسريين بحسن نية للتعاون لحل هذه المسألة المعقدة للغاية .

وفى يوليو عام ١٩٩٨ هدد هيفيس وماككول بفرض عقوبات جديدة عنيفة ، وشاركت فى هذا التهديد كل من نيوجيرسى وبنسلفانيا وكينكيتكوت وفلوريدا وميتشيجان وكاليفورنيا خلال أيام . وفى منتصف أغسطس امتثل السويسريون أخيراً . وفى تسوية قانونية قام فيها القاضى كورمان بدور الوسيط. وافقت سويسرا على دفع ١.٢٥ بليون دولار . وجاء فى نشرة صحفية أصدرتها بنوك سويسرا : الهدف من هذا المبلغ الاضافى هو أن نتجنب خطر العقوبات وإجراءات المحاكم الطويلة والمكلفة .

وارسل رئيس وزراء اسرائيل بنيامين نتنياهو تهنئة إلى داماتو قال فيها : « لقد كنت من الطلائعيين فعلا فى هذه العملية البطولية . وليست النتيجة إنجازا بالفعل فحسب بل نصراً أدبياً ومعنوياً للروح » . وللأسف انه لم يقل « للإرادة » .

وقد شملت تسوية الـ ١,٢٥ بليون دولار مع سويسرا ثلاث فئات أساسا : المطالبون بالحسابات المعلقة ، اللاجئون الذين لم يسمح لهم بحق اللجوء إلى سويسرا و ضحايا السخرة الذين استفادت منهم سويسرا . وبالرغم من السخط الذى له ما يبرره نحو السويسريين الخونة فإن سجل الأمريكيين فى جميع هذه المسائل المذكورة سيء إنه لم يكن أسوأ من ذلك . وسأعود إلى مسألة الحسابات المعلقة فى الولايات المتحدة .

لقد منعت الولايات المتحدة شأنها شأن سويسرا ، اللاجئين اليهود الهاربين من النازية من دخول أراضيها قبل الحرب العالمية الثانية واثناءها ، ومع ذلك ، لم تر الحكومة الامريكية أنه من المناسب تعويض اللاجئين اليهود على متن السفينة المنكوبة سانت لويس . ولنتخيل ردود الفعل إذا قدمت طلبات تعويضات من اللاجئين من أمريكا الوسطى وهايتى الذين لم يسمح لهم بحق اللجوء بعد الفرار من فرق الإعدام الذين كانت ترعاهم الولايات المتحدة . وعلى الرغم من أن سويسرا قزم من حيث الحجم والموارد مقارنة بالولايات المتحدة فقد سمحت بدخول عدد من اللاجئين اليهود مثل الولايات المتحدة (نحو عشرين الفا) أثناء المحرقة النازية[1] .

ولاشك أن الوسيلة الوحيدة للتكفير عن خطايا ماضية ، مثلما قال الساسة الأمريكيون لسويسرا ، هى تقديم تعويض مادى ، وارتأى ستيورات ايزنستات ، وكيل وزارة التجارة ومبعوث كلينتون الخاص لتعويضات الملتكات، ان تعويضات سويسرا لليهود اختبار ومحك مهم لرغبة هذا الجيل فى مجابهة الماضى ، وتصحيح

(١) انظر ديفيد س . وبمان « جدران من ورق » نيويورك ١٩٨٥ ، التخلى عن اليهود (نيويورك ١٩٨٤) لفهم السياسة الأمريكية نحو اللاجئين اليهود خلال تلك السنين .ولفهم السياسة السويسرية انظر لجنة الخبراء المستقلة: سويسرا - الحرب العالمية الثانية ، سويسرا واللاجئون فى عهد النازية (بيرن ١٩٩٩) فهناك خليط من العوامل المتشابهة - الركود الاقتصادى كراهية الأجانب ، العداء للسامية ثم الأمن - مسئولة عن سياسة تقييد الحصص لدى الولايات المتحدة وسويسرا وهذا شيء لم تتناوله أجهزة الاعلام الأمريكية التى انتقدت سويسرا .

أخطاء ذلك الماضى ، واعترف داماتو فى جلسة الاستماع نفسها فى مجلس الشيوخ أنه بالرغم من عدم إمكانية تحميل سويسرا مسئولية ماحدث منذ سنوات مضت ، لايزال من واجبها أن تحاول القيام بالصواب فى هذه المرحلة من الزمن . وقد أعلن الرئيس كلينتون موافقته على طلبات التعويضات للمؤتمر اليهودى العالمى وقال : يجب ان نواجه بقدر ما نستطيع ونصحح الظلم الرهيب الذى حدث فى الماضى . وقال جيمس ليتش رئيس لجنة البنوك فى مجلس النواب : لا توجد للتاريخ لائحة خاصة بالقيود والمهلة القانونية ، ولا يجب ان ننسى الماضى أبداً . وكتب زعماء الكونجرس من الحزبين رسالة الى وزيرة الخارجية جاء فيها « أن الاستجابة لمسألة التعويض ستكون بمثابة اختبار لاحترام حقوق الإنسان الأساسية وسيادة القانون » . وفى خطابها أمام البرلمان السويسرى ، شرحت وزيرة الخارجية مادلين أولبرايت بأن المزايا الاقتصادية التى حصل عليها السويسريون من حسابات اليهود المعلقة انتقلت إلى الأجيال اللاحقة ولذلك يتطلع العالم الآن إلى شعب سويسرا ، ليس من أجل تحمل مسئولية الأفعال التى اقترفها أجدادهم ، وانما لإبداء السخاء والكرم فى القيام بما يمكن القيام به الآن لتصحيح أخطاء الماضى » . وهذه مشاعر نبيلة ، ولايمكن الاستماع إليها ، إن لم تتم السخرية منها ، عندما يتعلق الأمر بتعويض الأمريكيين الأفارقة عن الرق الذى تعرضوا له[١] .

---

(١) جاءت الملاحظة المخالفة التى ظهرت فى جلسات الاستماع فى الكونجرس بشأن التعويض عن الهولوكوست ، على لسان النائبة ماكسين ووترز من كاليفورنيا . وقد أعلنت النائبة عن تأييدها (١٠٠٠٪) لإنصاف جميع ضحايا الهولوكوست ، وتساءلت عن كيف يمكن استخدام هذه الصيغة للتعامل مع السخرة التى عاناها أجدادى فى الولايات المتحدة . ومن الغريب أن نجلس هنا دون أن أتساءل عما يمكن أن أفعله للاعتراف بالسخرة فى هذا البلد . لقد وصفت مسألة التعويضات فى أوساط الجماعة الأمريكية - الأفريقية بأنها فكرة متطرفة وتعرض الذين حاولوا إثارة هذه المسألة أمام الكونجرس للسرية . واقترحت دعوة الهيئات الحكومية التى تعمل من أجل الحصول على تعويضات عن الهولوكوست إلى السعى للتعويض عن «السخرية المحلية» . وأجاب جيمس ليتش من لجنة النبوك فى مجلس النواب بأن السيدة تثير موضوعا عميقا للغاية . وسوف تنظر رئاسة اللجة فى هذا الموضوع .

ولايزال غير واضح كيف سيستفيد «الناجون المحتاجون من الهولوكوست» في التسوية النهائية . فقد فصلت جزيلا ويزهوز - أول مدعية ترفع قضية في حساب سويسري معلق - محاميها إدوارد فاجان ، واتهمته أنه قام باستغلالها . وبلغت القائمة التي قدمها فاجان إلى المحكمة أربعة ملايين دولار من الأتعاب . ووصلت مطالب المحامي الإجمالية ١٥ مليون دولار أي ٦٠٠ دولار للساعة . فقد طلب أحد المحامين ٢٤٠٠ دولار لقراءة كتاب ذهب النازية بقلم توم بوير . وذكرت مجلة جويش ويك في نيويورك : إن الجماعات والأحياء اليهود بدأوا يستعدون للقتال وهم يتنافسون على حصة من التسوية التي تمت مع بنوك سويسرا (١,٢٥ بليون دولار) عن عهد الهولوكوست . ويقول المدعون والأحياء أنهم يجب أن يحصلوا مباشرة على الأموال كلها . ومع ذلك تطالب المنظمات اليهودية بجزء من الغنيمة . وحملت جريتا بير - شاهدة رئيسية من الكونجرس ضد بنوك سويسرا - على مبالغة المنظمات اليهودية ، قائلة : لا أريد ان يسحقني أحد كحشرة صغيرة . وبغض النظر عن دفاع المؤتمر اليهودي العالمي عن الناجين المحتاجين من الهولوكوست ، فقد أراد المؤتمر تحويل نصف الأموال السويسرية إلى المنظمات اليهودية و «ثقافة الهولوكوست» .
ويرى مركز سيمون ويزنتال أنه إذا حصلت المنظمات اليهودية «المشهورة» على أموال ، فلابد من توجيه جزء منها إلى مراكز التعليم اليهودية ، ومع تحايل المنظمات الإصلاحية والأرثوذوكسية للحصول على نصيب أكبر من الغنيمة، ادعت كل منها ان الملايين الستة الذين ماتوا في الحرب كانوا يفضلون أن يكون الفرع الذي ينتمون اليه من اليهودية هو المستفيد المالي . هذا ، وقد أرغمت صناعة الهولوكوست سويسرا على قبول تسوية لأن الوقت كان هو المحك : إذ كان الناجون الفقراء من الهولوكوست يموتون كل يوم . وعندما وقعت سويسرا على الاتفاقية زالت عناصر السرعة بصورة تشبه المعجزة ، إذ بعد أكثر من عام من هذه التسوية لم تكن

هناك خطة لتوزيع الأموال . وحينما تم التوزيع فى نهاية الأمر، كان جميع الناجين المحتاجين من الهولوكوست « قد قضوا نحبهم ». فى الواقع، فإنه فى ديسمبر عام ١٩٩٩ ، وزع على الضحايا الفعليين أقل من نصف الصندوق الخاص لهؤلاء الناجين المحتاجين (٢٠٠ مليون دولار) الذى أنشئ فى فبراير عام ١٩٩٧ . وبعد دفع أتعاب المحامين، سوف تندفع هذه الأموال إلى خزائن المنظمات اليهودية «المعروفة».

وكتب بيرت نيوبورن استاذ قانون بجامعة نيويورك وعضو الفريق القانونى فى قضايا التعويضات فى النيويورك تايمز، لا يمكن الدفاع عن أية تسوية إذا سمحت للهولوكوست بأن يكون مشروعا للربح للبنوك السويسرية، وشهد إدجار برونغمان أمام لجنة البنوك فى مجلس النواب بأنه لا ينبغى السماح لسويسرا بتحقيق ربح من بقايا الهولوكوست ، ومن جهة أخرى، اعترف برونغمان مؤخراً بأن خزانة المؤتمر اليهودى العالمى حصلت على ما لا يقل عن سبعة بلايين دولار من أموال التعويضات. وفى هذه الأثناء نشرت التقارير الرسمية عن البنوك السويسرية .. وفى وسع المرء الآن أن يحكم بأنه كانت هناك - كما يدعى بوير - مؤامرة سويسرية، نازية منذ خمسين عاما لسرقة البلايين من يهود أوروبا وضحايا الهولوكوست .

وفى يوليو عام ١٩٩٨ أصدرت لجنة الخبراء (بيرجير) المستقلة تقريرها بعنوان «سويسرا وصفقات الذهب فى الحرب العالمية الثانية » ، وأكدت اللجنة فى هذا التقرير أن بنوك سويسرا اشترت الذهب من المانيا النازية بمبلغ أربعة بلايين دولار بالقيمة الحالية، وهى تعلم أنه سلب من البنوك المركزية لأوروبا المحتلة . وأثناء جلسات الاستماع فى كابيتول هل، أعرب أعضاء الكونجرس عن ذهولهم لأن بنوك سويسرا تعاملت بأرصدة مسروقة، بل والأسوأ من ذلك ، أنها لا تزال تقوم بهذه الممارسات الفاضحة والمشينة . واستنكر أحد أعضاء الكونجرس قيام الساسة الفاسدين بإيداع مكاسبهم المشبوهة فى بنوك سويسرا ، فناشد سويسرا إصدار قانون

ضد التحويل السرى للأموال من كبار الساسة أو الزعماء، أو أناس يسرقون مالية بلادهم ...

وأعرب عضو آخر فى الكونجرس عن الأسى لأن عدداً من كبار المسئولين الفاسدين فى الحكومة والهيئات العالمية ورجال الأعمال وجدوا ملاذا لثرواتهم الطائلة فى بنوك سويسرا، فتساءل بصوت عال عما إذا كان النظام المصرفى السويسرى يتستر على حثالة هذا الجيل، والحكومات التى يمثلونها ،ولذلك تم توفير ملاذ للحكومة النازية قبل ٥٥ عاما . حقا ، إن المشكلة تستحق القلق والاهتمام . وفى كل عام يرسل مبلغ ١٠٠ - ٢٠٠ بليون دولار من أموال الفساد السياسى عبر العالم وتودع فى بنوك خاصة . وكان من الممكن للوم الذى وجهته لجنة البنوك فى الكونجرس أن يكون أقوى لو لم يودع نصف هذا «المال الهارب سراً » فى بنوك أمريكية بموافقة تامة من القانون الأمريكى . ومن بين الذين استفادوا مؤخرا من هذا الملجأ الأمريكى راؤل ساليناس دى جورتارى - شقيق رئيس المكسيك السابق - وأسرة الديكتاتور السابق فى نيجيريا الجنرال سانى أباشا . وتذكر جين زيجلر - عضو البرلمان السويسرى ومن أشد نقاد بنوك سويسرا - إن الذهب الذى سلبه أدولف هتلر ورجاله لا يختلف فى جوهره عن اموال الديات (ثمن الدم) المودعة حاليا فى حسابات خاصة فى بنوك سويسرا باسم زعماء مستبدين من دول العالم الثالث ، وقالت ان الملايين من الرجال والنساء والاطفال قد سيقوا إلى الموت من قبل لصوص هتلر الرسميين، كما أن مئات الآلاف من الأطفال يهلكون كل عام بسبب المرض وسوء التغذية فى العالم الثالث لأن الطغاة سلبوا ونهبوا بلادهم بمساعدة حيتان المال السويسريين وبمساعدة هيئات المال الأمريكية أيضا . وأترك جانبا النقطة الأهم وهى أن العديد من هؤلاء الطغاه قد جاؤا إلى الحكم وظلوا هناك بفضل القوة الأمريكية وفوضتهم الولايات المتحدة بنهب بلادهم .

وبالنسبة لمسألة المحرقة النازية بالذات، قررت اللجنة المستقلة بأن البنوك السويسرية اشترت بالفعل سبائك ذهب سرقها المجرمون النازيون من ضحايا معسكرات العمل والإبادة . ومع ذلك، لم تفعل هذه البنوك ذلك عن عمد : فلا يوجد ما يدل على أن صانعى القرار فى البنك المركزى السويسرى علموا بأن السبائك المذكورة نقلها البنك المركزى الألمانى إلى سويسرا . وقدرت اللجنة قيمة «الذهب المسروق» والذى ابتاعته سويسرا بـ ١٣٤٤٢٨ دولار أو نحو بليون دولار بالقيمة الحالية . ويشمل هذا الرقم «الذهب» الذى سرق من نزلاء معسكرات الاعتقال من اليهود وغير اليهود .

وفى ديسمبر عام ١٩٩٩ أصدرت لجنة كبار الشخصيات المستقلة (لجنة فولكر) تقريرها عن الحسابات المعلقة لضحايا الاضطهاد النازى فى بنوك سويسرا ويسجل التقرير ما توصلت إليه عملية مراجعة حسابات مضنية دامت ثلاث سنوات وتكلفت ٥٠٠ مليون دولار . ولابد من الإشارة إلى النتيجة الرئيسية التى توصلت إليها هذه اللجنة عن «معاملة الحسابات المعلقة لضحايا الاضطهاد النازى :

« لم يكن هناك دليل بالنسبة لضحايا الاضطهاد النازى، على وجود تفرقة منتظمة أو منع الوصول أو اختلاس أو مخالفة شروط حفظ المستندات بموجب القانون السويسرى . ومع ذلك، ينتقد التقرير إجراءات بعض البنوك فى تعاملها مع حسابات ضحايا الاضطهاد النازى . ويجب التأكد على كلمة «بعض» فى هذا السياق لأن الأعمال التى تعرضت للنقد تشير أساسا إلى أعمال بنوك معينة فى تعاملها مع حسابات ضحايا النازية فى إطار تحقيق شمل ٢٥٤ بنكا وغطى فترة ستين عاما . وبالنسبة لهذه الأعمال ، يعترف التقرير أيضا بوجود ظروف مخففة لسلوك البنوك المعنية . وعدا عن ذلك، يقول التقرير إن هناك دليلا وافيا عن عدة حالات بحثت فيها البنوك بهمة ونشاط عن أصحاب الحسابات المفقودين أو ورثتهم،

بما فى ذلك ضحايا الهولوكوست، ودفعت أرصدة الحسابات المعلقة إلى الأطراف المستحقة» .

وتختتم الفقرة الكلام بقولها : « ترى اللجنة أن هذه الأعمال التى تعرضت للنقد من الأهمية بحيث انه لابد من أن نسجل فى هذا الجزء الأشياء التى لم تكن صحيحة لكى نتعلم من الماضى بدلا من أن نكرر أخطاءه » .

ويرى التقرير أيضا أنه على الرغم من عدم استطاعة اللجنة اكتشاف جميع سجلات البنوك للفترة المعنية «١٩٣٣-١٩٤٥» ، فمن الصعب إن لم يكن من المستحيل إتلاف الدفاتر دون تتبعها ، وفى الواقع لم يعثر على دليل يشير إلى الإعدام المتعمد لسجلات الحسابات لإخفاء ما حدث فى الماضى . ويقرر التقرير ان نسبة السجلات التى تم استردادها (٦٠٪) غير عادية وملفتة للنظر خاصة وأن القانون السويسرى لا ينص على الاحتفاظ بالدفاتر أكثر من عشر سنوات .

ومع ذلك، لنقارن ما نشرته النيويورك تايمز من النتائج التى توصلت إليها لجنة فولكر . وكتبت الصحيفة مقالا افتتاحيا بعنوان « احتيالات بنوك سويسرا » تقول : إن اللجنة لم تجد دليلا قاطعا بأن بنوك سويسرا أساءت استخدام حسابات اليهود المعلقة . ويذكر التقرير انه «لا يوجد دليل» . وتقول الصحيفة إن اللجنة اكتشفت ان بنوك سويسرا استطاعت بطريقة ما أن تفقد أثر عدد مذهل من هذه الحسابات . ومع ذلك يقول التقرير إن السويسريين احتفظوا بسجلات عدد كبير جدا من الحسابات . وفى الختام تذكر الصحيفة أنه بناء على ما اكتشفته اللجنة قام عدد كبير من البنوك بقسوة واحتيال بطرد أفراد الأسر الذين حاولوا استعادة الأرصدة المفقودة . ويؤكد التقرير أن «بعض» البنوك فقط هى التى أساءت التصرف وأن هناك «ظروفا مخففة» فى هذه الحالات، ويوضح «الحالات العديدة» التى راحت فيها البنوك تبحث بهمة عن المستحقين الشرعيين .

ويلوم التقرير البنوك السويسرية لأنها لم تكن صريحة وواضحة فى التدقيق المسبق للحسابات المعلقة منذ عصر الهولوكوست . ويبدو أن التقرير يرجع العيوب فى مراجعة الحسابات إلى عوامل فنية أكثر من الاحتيال والخداع . ويحدد التقرير ٥٤ الف حساب لها علاقة محتملة أو ممكنة مع ضحايا الاضطهاد النازى ، ولكنه يقرر أنه بالنسبة لنصف هذا العدد أى ٢٥ الفا ، فالاحتمال القوى يتطلب نشر أسماء أصحاب الحسابات . وتقدر القيمة الجارية لعشرة آلاف من هذه الحسابات التى توفرت عنها بعض المعلومات بـ ١٧٠ - ٢٦٠ مليون دولار . وثبت أنه من المستحيل احتساب القيمة الجارية لبقية الحسابات . ومن المحتمل أن يرتفع إجمالى قيمة الحسابات المعلقة بالفعل منذ عصر الهولوكوست إلى أكثر من ٣٢ مليون دولار، وهو المبلغ الذى قدرته بنوك سويسرا فى الأصل، ولكنه أقل كثيرا من الـ ٧ - ٢٠ بليون دولار التى طالب بها المؤتمر اليهودى العالمى . وفى شهادة لاحقة فى الكونجرس ، قال فولكر إن عدد الحسابات السويسرية التى « يحتمل أو يمكن » أن تتعلق بضحايا الهولوكوست هو أكبر عدة مرات من العدد الذى أسفرت عنه التحقيقات السويسرية السابقة . وقال : أنا أؤكد كلمات يحتمل أو يمكن وذلك لأنه بعد أكثر من نصف قرن، وفيما عدا بعض الحالات، لم نستطع أن نحدد بالتأكيد وجود علاقة ثابتة بين الضحايا وأصحاب الحسابات .

ولم تنشر وسائل الإعلام الأمريكية أهم النتائج التى توصلت إليها لجنة فولكر ... فقد ذكرت اللجنة أنه إلى جانب سويسرا ، كانت الولايات المتحدة أيضا ملاذا مأمونا لتحويل أرصدة اليهود فى أوروبا :

«لقد دفع توقع الحرب والمأساة الاقتصادية واضطهاد اليهود والأقليات الأخرى على يد النازية قبيل وأثناء الحرب العالمية الثانية، العديد من الناس بما فيهم ضحايا هذا الاضطهاد إلى نقل أرصدتهم إلى دول اعتبروها ملجأ مأمونا (خاصة الولايات

المتحدة والمملكة المتحدة) . ونظراً لأن سويسرا المحايدة لها حدود مع دول المحور ودول تحت احتلال المحور، فقد تلقت بنوك سويسرا وغيرها من الوسطاء الماليين فى سويسرا جزءا من الأصول والأرصدة التى كانت تنشد الأمان والسلامة » .

وهناك ملحق مهم يتضمن «الجهات المفضلة» لأرصدة اليهود قابلة التحويل فى أوروبا . وكانت الجهات الرئيسية هى الولايات المتحدة وسويسرا (واحتلت المملكة المتحدة المرتبة الثالثة فى الترتيب) .

والسؤال الذى يطرح نفسه هو ماذا حدث للحسابات المعلقة منذ عهد الهولوكوست فى البنوك الأمريكية ؟ لقد طلبت لجنة البنوك فى مجلس النواب أحد الشهود الخبراء للإدلاء بشهادته فى هذا الموضوع . وقد كان سيمور روبن، استاذ فى الجامعة الأمريكية حاليا، نائبا لرئيس الوفد الأمريكى فى المفاوضات السويسرية عقب الحرب العالمية الثانية . وعمل روبن، تحت إشراف المنظمات اليهودية الأمريكية فى الخمسينات مع مجموعة من الخبراء بشأن حياة اليهود فى أوروبا، لتحديد الحسابات المعلقة منذ عهد الهولوكوست فى البنوك الأمريكية .

وقد ذكر روبن فى شهادته أمام مجلس النواب انه بعد مراجعة سطحية لبنوك نيويورك فقط، قدرت قيمة هذه الحسابات بستة بلايين دولار وقد طلبت المنظمات اليهودية من الكونجرس هذا المبلغ « للناجين الفقراء »(يتم تحويل الحسابات المعلقة التى لم يطالب بها أصحابها فى الولايات المتحدة إلى الدولة بموجب قاعدة الميراث الذى لا وارث له) ويقول روبن :

« رفض الراعون المحتملون فى الكونجرس للتشريع اللازم ، التقدير المبدئى ومقداره ستة ملايين دولار، وقد ورد فى المسودة الأصلية للقانون مبلغ ثلاثة ملايين دولار كحد أدنى، ثم خفض هذا المبلغ إلى مليون دولار فى جلسات الاستماع فى المجلس ، وخفض المبلغ إلى ٥٠٠ ألف دولار بموجب إجراء تشريعى آخر، وعارض

مكتب الميزانية هذا المبلغ واقترح مبلغ ٢٥٠٠٠٠ دولار ، ومع ذلك تمت الموافقة على القانون بمبلغ نصف مليون دولار » .

واختتم روبن كلامه بقوله : اتخذت الولايات المتحدة إجراء محدودا للغاية لتحديد الأرصدة التى لا وارث لها ، وقدمت نصف مليون دولار فقط، مقابل ٣٢ مليون دولار اعترفت بها بنوك سويسرا حتى قبيل تحقيق فولكر . وبعبارة أخرى ، إن سجل الولايات المتحدة أسوأ من سجل سويسرا ، ويؤكد هذا السجل أنه ما عدا الملاحظة العابرة التى صدرت عن ايزنستات ، لم يرد ذكر الحسابات المعلقة فى الولايات المتحدة اثناء جلسات اجتماع لجنة البنوك فى مجلسى النواب والشيوخ والمخصصة لبنوك سويسرا . ومع ذلك وبالرغم من الدور المحورى لروبن فى كثير من الروايات الثانوية عن مسألة بنوك سويسرا - يخصص بوير عشرات من الصفحات لهذه «الحملة فى وزارة الخارجية» - إلا أن أحداً لم يشر إلى شهادته فى مجلس النواب . وأعرب روبن فى جلسة استماع لمجلس النواب عن درجة من الشك نحو المبالغ الكبيرة (فى حسابات معلقة فى سويسرا) التى يدور الكلام حولها . ولسنا بحاجة للقول بأن ملاحظات روبن الدقيقة حول هذه المسألة لم تجد آذانا صاغية .

فأين كان الاستنكار الشديد من الكونجرس نحو البنوك الأمريكية «المحتالة» . لقد أعرب أعضاء لجان البنوك فى مجلسى النواب والشيوخ الواحد تلو الآخر عن سخطهم نحو سويسرا وطالبوها «بأن تدفع» ومع ذلك لم يدع أحد منهم الولايات المتحدة إلى أن تحذو حذوها . بل أكد أحد أعضاء لجنة البنوك فى مجلس النواب - من دون خجل - بموافقة برونغمان - أن سويسرا فقط هى التى عجزت أن تبدى الشجاعة فى مواجهة تاريخها . وليس من المدهش ، أن صناعة الهولوكوست لم تشن حملة تحقيق فى البنوك الأمريكية ولاشك أن إجراء مراجعة وتدقيق فى البنوك الأمريكية على نطاق ما حدث فى بنوك سويسرا سوف تكلف دافعى الضرائب فى

أمريكا بلايين وليس ملايين الدولارات . ولكن الشجاعة لها حدودها ، إذ كان من الممكن لو تمت هذه الحملة لقام اليهود الأمريكيون بطلب اللجوء السياسى فى ميونيخ.

وفى أواخر الأربعينات ، عندما كانت الولايات المتحدة تضغط على سويسرا لتحديد الحسابات اليهودية المعلقة، احتج السويسريون وقالوا إنه يجب على الأمريكيين أن يهتموا بدارهم . وفى منتصف عام ١٩٩٧ أعلن حاكم ولاية نيويورك باتاكى عن تشكيل لجنة فى الولاية لاسترداد أرصدة ضحايا الهولوكوست لمتابعة الدعاوى ضد بنوك سويسرا . واقترح السويسريون صراحة انه كان من المفيد بصورة أكبر ان تقوم اللجنة برفع دعوى ضد البنوك الأمريكية والإسرائيلية . ويذكر بوير ان البنوك الإسرائيلية رفضت نشر قوائم الحسابات المعلقة لليهود بعد حرب عام ١٩٤٨، وجاء مؤخرا انه على خلاف الدول فى أوروبا، تقاوم بنوك اسرائيل والمنظمات الصهيونية الضغط لتشكيل لجان مستقلة لتحديد مقدار الممتلكات وعدد الحسابات المعلقة الخاصة بالناجين من الهولوكوست، وكيف يمكن تحديد أماكن أصحابها (الفاينانشيال تايمز) . (فقد اشترى يهود أوروبا قطعا من الأرض وفتحوا حسابات بنكية فى فلسطين أثناء الانتداب البريطانى لدعم المؤسسة الصهيونية أو الإعداد للهجرة فى المستقبل) . وفى اكتوبر عام ١٩٩٨ ، اتخذ المؤتمر اليهودى العالمى والمنظمة اليهودية العالمية قرارا من حيث المبدأ بوقف بحث موضوع أرصدة ضحايا الهولوكوست فى اسرائيل لأن مسئولية هذه المسألة بيد الحكومة الإسرائيلية (هاآرتس) . لذلك وجهت هذه المنظمات اليهودية جهودها نحو سويسرا وليس إلى الدولة اليهودية . وكانت أكثر التهم حساسية ضد بنوك سويسرا هى أنها طلبت شهادات وفاة من ورثة ضحايا المحرقة النازية ، كما طلبت البنوك الإسرائيلية هذه المستندات. ومع ذلك عبثا يبحث المرء عن استنكار «للاسرائيليين الغادرين الخونة».

ولبيان انه لا يمكن إجراء مساواة أخلاقية بين البنوك فى اسرائيل وفى سويسرا ، نقلت النيويورك تايمز عن نائب اسرائيلى سابق : هذا هو التجاهل فى أكمل صوره ، وكان ذلك جريمة فى سويسرا .. من دون تعليق .

وفى مايو عام ١٩٩٨ كلف الكونجرس لجنة رئاسية استشارية خاصة بأرصدة الهولوكوست فى الولايات المتحدة لإجراء بحث أصيل فى مصير أرصدة ضحايا الهولوكوست التى وقعت عليها يد الحكومة الاتحادية الأمريكية وإبلاغ الرئيس بالسياسات التى ينبغى اتباعها لتعويض الأصحاب الحقيقيين للممتلكات المسروقة أو ورثتهم . وقد أعلن برونغمان رئيس اللجنة أن عمل اللجنة كشف بصورة دافعة لا سبيل إلى دحضها أننا فى الولايات المتحدة نميل إلى التمسك بنفس المعيار الرفيع من الصدق بشأن أرصدة الهولوكوست مثلما نطالب به الدول الأخرى . وعلى أية حال فإن اللجنة الاستشارية الرئاسية التى تبلغ ميزانيتها الإجمالية ٦ ملايين دولار تختلف عن عملية المراجعة الخارجية الشاملة بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار للنظام المصرفى بأسره لدولة من الدول مع الوصول من غير قيد إلى جميع سجلات البنك . ولتبديد أية شكوك فى أن الولايات المتحدة هى فى طليعة الجهود الخاصة باسترداد الأرصدة اليهودية التى سرقت فى عهد الهولوكوست ، أعلن جيمس ليتش رئيس لجنة البنوك فى مجلس النواب، بفخر فى فبراير عام ٢٠٠٠ أن أحد متاحف كارولينا الشمالية أعاد لوحة إلى أسرة نمسوية .. وهذا يوضح مسئولية الولايات المتحدة ، وهذا شئ فى رأيى يتعين على هذه اللجنة أن تؤكده .

وبالنسبة لصناعة الهولوكوست كانت قضية بنوك سويسرا مثل التعذيب الذى تحمله بعد الحرب بنجامين ويلكوميرسكى- السويسرى الذى نجا من الهولوكوست- دليل آخر على حقد الأمميين غير المنطقى والذى لا سبيل إلى استئصاله . ويقول إيتامار ليفن : إن هذه المسألة تشير إلى مدى عدم حساسية حتى « دولة ليبرالية

ديموقراطية فى اوربا » نحو «الذين تحملوا الآثار المادية والعاطفية لأبشع جريمة عرفها التاريخ »وجاء فى دراسة لجامعة تل أبيب (ابريل عام ١٩٩٧) أنه حدث ارتفاع واضح فى العداء للسامية فى سويسرا . ومع ذلك لا نستطيع أن نربط هذا التطور المشئوم بالابتزاز الذى تقوم به صناعة الهولوكوست لسويسرا . ويقول برونغمان : اليهود لا يصنعون العداء للسامية بل «المعادون للسامية هم الذين يفعلون ذلك» .

ويقول إيتامار ليفن إن التعويضات المادية عن الهولوكوست هى أعظم اختبار أخلاقى واجهته أوروبا فى نهاية القرن العشرين ، وسيكون المحك الحقيقى لمعاملة القارة للشعب اليهودى » . وقد زادت جرأة صناعة الهولوكوست نتيجة نجاحها فى ابتزاز السويسريين ، فقامت مسرعة إلى «اختبار» بقية دول أوروبا . وكانت ألمانيا هى المحطة التالية .

وبعد الوصول إلى تسوية مع سويسرا فى أغسطس عام ١٩٩٨ اتبعت صناعة الهولوكوست استراتيجية الفوز ذاتها مع المانيا فى سبتمبر ، إذ رفعت نفس المجموعات القانونية الثلاث : هوزفيلد - ويس ، فاجان - سويفت والمجلس العالمى للجماعات اليهودية الأرثوذكسية قضايا قانونية ضد مؤسسات الصناعة الخاصة فى المانيا مطالبين بتعويضات لا تقل عن عشرين بليون دولار.

وأخذت هذه الأوساط تلوح مهددة بالمقاطعة الاقتصادية، وأخذ مراقب حسابات مدينة نيويورك هيفيس «يتابع» المفاوضات فى إبريل عام ١٩٩٩ . وعقدت لجنة البنوك فى مجلس النواب جلسات استماع فى سبتمبر. وأعلنت عضوة الكونجرس كارولين مالونى انه لا يجب أن يكون مضى الزمن ذريعة للثراء المجحف والظالم (من أعمال السخرة اليهودية، وأعمال السخرة للأمريكيين الافارقة قصة أخرى) ، بينما قال رئيس اللجنة ليتش وهو يقرأ من النص القديم نفسه : لا توجد فى التاريخ لائحة

تضع حداً للمهلة القانونية . وقال ستيوارت ايزنستات أمام اللجنة : إن الشركات الألمانية تمارس نشاطها في الولايات المتحدة، دعونا نرى حسن نيتهم هنا، وهم يرغبون في الاستمرار بالاحتفاظ بهذا النوع من المواطنة الصالحة في الولايات المتحدة والمانيا وهو ما أعلنوه دائما وأبداً . ومن دون استخدام المجاملات الدبلوماسية ، دعا عضو الكونجرس ريك لازيو اللجنة إلى «*التركيز على شركات القطاع الخاص في المانيا* ، *خاصة تلك التي تمارس نشاطها في الولايات المتحدة*» . ومن أجل تعبئة غضب الجماهير ضد المانيا، قامت صناعة الهولوكوست بحملة اعلانات واسعة في الصحف بنشر صفحات كاملة عن هذا الموضوع . ولم تكن الحقيقة المروعة كافية ، إذ تم استخدام جميع أسلحة الهولوكوست وأدى نشر إعلان يندد بشركة الأدوية الألمانية (باير) إلى زج إسم جوزيف مينجيلي بالرغم من عدم وجود ما يثبت أن (باير) هي التي كانت وراء تجاربه القاتلة . وأدرك الألمان أن حملة الهولوكوست ساحقة ولا يستطيعون مقاومتها ، فوافقوا على تسوية مالية كبيرة بنهاية العام .

وقد ذكرت صحيفة التايمز اللندنية أن الفضل في هذا الاستسلام يعود إلى حملة «الهولوكاش» في الولايات المتحدة . وقال إيزنستات أمام لجنة البنوك في مجلس النواب : لم نكن نستطيع الوصول إلى إبرام هذه الاتفاقية من دون التدخل الشخصي وقيادة الرئيس كلينتون وغيره من كبار المسئولين في الحكومة الأمريكية .

واتهمت صناعة الهولوكوست بأن هناك التزاما أدبيا وقانونيا على المانيا لتعويض ضحايا أعمال السخرة اليهود الذين يستحقون شيئا من العدالة والانصاف فيما بقي لهم من عمر ، كما قال إيزنستات . ومع ذلك، وكما ذكرنا، ليس صحيحا أن هؤلاء لم يحصلوا على أي تعويض ، فقد كانوا ضمن الاتفاقيات الأصلية مع المانيا لتعويض نزلاء معسكرات الاعتقال ، إذ عوضت الحكومة الألمانية عمال

السخرة اليهود مقابل حرمانهم من حريتهم والضرر الذى لحق بحياتهم وأطرافهم ، ولم يدفع تعويض رسمى عن الأجور المحتجزة ، أما الذين تعرضوا لإصابات وأضرار بسيطة ، فقد حصل كل منهم على معاش كبير طوال حياتهم ، ومنحت المانيا مؤتمر التعويضات اليهودية نحو بليون دولار بالقيمة الحالية عن النزلاء اليهود فى معسكرات الاعتقال سابقا ممن حصلوا على الحد الأدنى من التعويضات ، وقد ذكرنا آنفا أن مؤتمر التعويضات خالف الاتفاق مع المانيا واستغل هذه الأموال لإنشاء مشروعات خاصة مختلفة . وقد برر المؤتمر هذا الاستغلال لأموال التعويضات الألمانية بأنه حتى قبل وصول هذه الأموال ، كانت قد تمت تلبية حاجات المحتاجين من ضحايا النازية . ومع ذلك، وبعد خمسين عاما تطالب صناعة الهولوكوست بأموال لهؤلاء المحتاجين الذين يعيشون فى فقر لأن المانيا لم تدفع لهم تعويضات أبداً.

ولا نستطيع الإجابة على السؤال الخاص بما هو التعويض «العادل» لضحايا أعمال السخرة السابقين من اليهود . ويستطيع المرء أن يقول : وفقا لشروط التسوية الجديدة، من المفروض أن يحصل كل يهودى من ضحايا أعمال السخرة على ٧٥٠٠ دولار . ولو أحسن مؤتمر التعويضات توزيع الأموال التى تم الحصول عليها من المانيا أصلا، لحصل عدد أكبر من هؤلاء الضحايا على مبالغ أكبر منذ وقت أطول .

ولا يعرف ما إذا كان ضحايا الهولوكوست سيحصلون على أى جزء من الأموال الألمانية ، فمؤتمر التعويضات يرغب فى وضع جزء كبير منها فى صندوقة الخاص . وجاء فى جيروزاليم ريبورت أن المؤتمر سيحقق مكاسب كبيرة إذا منع حصول الضحايا على شئ . وهاجم عضو الكنيست الاسرائيلى مايكل كلينر (من حزب حيروت) المؤتمر ووصفه بأنه مجرم يمارس أعمال النازية بطرق مختلفة . وقال إنه هيئة غير آمنة ، تمارس أعمالها بسرية للغاية ويلطخها أناس سيئون وفساد أخلاقى، إنه هيئة تعمل فى الظلام وتمتهن ضحايا الهولوكوست النازى وورثتهم ، بينما

تهيمن على مبالغ ضخمة من الأموال التى هى أموال أفراد ، وهى تفعل كل شئ لكى ترث (هذا المال) بينما لا يزال أصحابه أحياء يرزقون . وفى شهادته أمام لجنة البنوك في مجلس النواب ، واصل ستيوارت ايزنستات كيل الثناء على العملية الواضحة التي قام بها مؤتمر التعويضات اليهودية خلال السنوات الأربعين الماضية .

ومع ذلك ، وفي مجال السخرة المجردة ، لا يوجد نظير للحاخام إسرائيل سينجر ، وبالاضافة إلى منصبه كأمين عام فى المؤتمر اليهودى العالمى ، تولى سينجر منصب نائب رئيس مؤتمر التعويضات وكان كبير المفاوضين فى المحادثات حول أعمال السخرة مع ألمانيا وقد أكد بقوة أمام لجنة البنوك فى مجلس النواب بعد التسويات مع ألمانيا وسويسرا " أنه من العار " أن تدفع " أموال التعويضات إلى الورثة وليس إلى الناجين من الهولوكوست ، " نحن لا نرغب دفع الأموال للورثة ، وإنما للضحايا » . ومع ذلك ، تقول صحيفة هاآرتس أن سينجر كان أشد أنصار استغلال أموال تعويضات الهولوكوست لتلبية احتياجات الشعب اليهودى كله ، وليس اليهود الذين كانوا محظوظين للنجاة من الهولوكوست وتقدمت بهم السن .

وفى نشرة أصدرها المتحف التذكارى للهولوكوست فى أمريكا ، يصور هنرى فريدلاندر - مؤرخ الهولوكوست النازى المعروف والنزيل السابق فى أوشويتز - هذا الوضع بنهاية الحرب فيقول :

" إذا كان هناك ٧١٥٠٠٠ سجين فى المعسكرات فى بداية عام ١٩٤٥ ، وهلك ثلث هذا العدد على الأقل - أى ٢٣٨٠٠٠ - فى ربيع عام ١٩٤٥ ، نفترض إذن أن ٤٧٥٠٠٠ سجين ظلوا على قيد الحياة . ومع قتل اليهود بانتظام ، ووجود فرصة فقط للذين وقع عليهم الاختيار للعمل - نحو ١٥٪ فى أوشويتز - للبقاء على قيد الحياة ، لا بد من الافتراض بأن اليهود لا يمثلون أكثر من ٢٠٪ من نزلاء معسكرات الاعتقال .

واختتم فريدلاندر كلامه بقوله : نستطيع تقدير عدد اليهود الذين نجوا من المحرقة بما لا يزيد على ١٠٠ ألف ، ويقول الباحثون أن الرقم الذى ذكره فريدلاندر بالنسبة لليهود الأحياء من معسكرات السخرة بنهاية الحرب ، مرتفع جداً . وفى دراسة مؤكدة المصادر يقول ليونارد دينرشتاين : لقد خرج ستون ألف يهودى من معسكرات الاعتقال مات منهم فى أسبوع أكثر من عشرين ألفا .

وفى جلسة استماع بوزارة الخارجية فى مايو عام ١٩٩٩ ، ذكر ستيوارت ايزنستات عدد " المجموعات التى تمثلهم " ، وعدد نزلاء معسكرات السخرة من اليهود وغير اليهود الذين لا يزالون أحياء بـ ٧٠-٩٠ ألفا . وقد كان ايزنستات كبير المندوبين الأمريكيين فى مفاوضات السخرة مع ألمانيا وتعاون تماما مع مؤتمر التعويضات . وبذلك يصبح إجمالى عدد اليهود الأحياء من معسكرات السخرة ١٤-١٨ ألفا (أى ٢٠٪ من الـ ٧٠ - ٩٠ الفا) . ومع ذلك ، وعند دخول المفاوضات مع ألمانيا طالبت صناعة الهولوكوست تعويضات لـ ١٣٥ ألف يهودى من معسكرات السخرة لا يزالون قيد الحياة . وذكر أن عدد عمال السخرة السابقين الذين لا يزالون على قيد الحياة من اليهود وغيرهم ٢٥٠٠٠٠ . وبعبارة أخرى ، زاد عدد الأحياء من هؤلاء اليهود عشرة أضعاف منذ مايو عام ١٩٩٩ ، وطرأ تغير حاد على النسبة بين الأحياء اليهود وغير اليهود ، فى الحقيقة ، إذا صدقنا صناعة الهولوكوست ، فهذا يعنى أن عدد الأحياء اليوم من اليهود الذين كانوا فى معسكرات السخرة أكثر مما كانوا قبل نصف قرن من الزمن ، وكتب سير والتر سكوت : يا لهذه الشبكة شديدة التشابك التى ننسجها ، عندما نبدأ بممارسة الخداع.

ونظراً لأن صناعة الهولوكوست تتلاعب بالأرقام لدعم التعويضات التى تطالب بها ، يهزأ المعادون للسامية " بالكذابين اليهود " الذين يبيعون حتى موتاهم بالتجزئة ، وبالتلاعب بهذه الأرقام ، قامت صناعة الهولوكوست ، وإن كان بصورة

غير مقصودة ، بتبرئة ساحة النازية ، ويذكر راؤل هيلبرج ، أكبر سلطة ومرجع فى الهولوكوست النازى ، أن عدد الذين قتلوا من اليهود هو ٥,١ ملايين نسمة . فاذا كان ١٣٥ ألفا من ضحايا أعمال السخرة اليهود لا يزالون أحياء اليوم ، فلا بد أن يكون ٦٠٠ ألف قد نجوا من الحرب ، وهذا يزيد نصف مليون نسمة من متوسط التقديرات ، لذلك ينبغى للمرء أن يطرح هذا النصف المليون من الخمسة ملايين ومائة ألف الذين قتلوا ، وبذلك لا يصعب تبرير رقم الملايين الستة فحسب بل إن أعداد صناعة الهولوكوست تصل بسرعة إلى أعداد الذين ينكرونه ، وإذا اعتبرنا أن الزعيم النازى هنريك هيملر ذكر أن إجمالى عدد نزلاء معسكرات الاعتقال فى يناير عام ١٩٤٥ يزيد قليلا على ٧٠٠ ألف نسمة، وحسبما قال فريدلاندر فان نحو ثلث هذا العدد قتلوا فى مايو ، فإذا كان اليهود يمثلون ٢٠٪ من الأحياء من معسكرات الاعتقال ، وكما أعلنت صناعة الهولوكوست فان ٦٠٠ ألف نزيل يهودى نجوا من الحرب ، فلا بد أن عدد النزلاء الأحياء يصل إلى ثلاثة ملايين نسمة ، وحسب تقدير صناعة الهولوكوست ، فلا يمكن أن تكون ظروف معسكرات الاعتقال قاسية على الإطلاق ، ولا بد أن يفترض المرء وجود معدل خصوبة مرتفع ومعدل وفيات متدنى جدا .

ولا شك فى أن الادعاء الشائع هو أن الحل النهائى عبارة عن إبادة صناعية فعالة ونظام تجميع . ولكن إذا كان الأمر حسب ادعاء صناعة الهولوكوست ، هو أن مئات الآلاف من اليهود ظلوا على قيد الحياة ، فمعنى هذا أن الحل النهائى لم يكن فعالاً أبداً . ولا بد أنها مصادفة ، وهذا ما يقوله الذين ينكرون الهولوكوست .

وفى مقابلة جرت مؤخرا أكد راؤل هيلبرج أن العدد مهم فى مسألة فهم المحرقة النازية ، فى الحقيقة إن الأرقام المعدلة التى أوردها مؤتمر التعويضات تثير الشكوك حول فهمه لها . إذ جاء فى " ورقة المؤتمر عن موقفه " من مسألة السخرة فى

المفاوضات مع ألمانيا : أعمال السخرة أحد الوسائل الثلاث الرئيسية التى استخدمها النازى لقتل اليهود ، والوسيلتان الأخريان هم إطلاق النار واستخدام الغاز ، ومن أهداف السخرة تشغيل الأفراد حتى الموت . وكلمة سخرة غير دقيقة فى هذا السياق، وبصفة عامة فان القائمين على السخرة يهتمون بحفظ حياة وأحوال عبيدهم. ومع ذلك ، كانت خطة النازى " للعبيد " هى الانتفاع بعملهم ثم إبادتهم والخلاص منهم . وفيما عدا الذين ينكرون الهولوكوست ، لم يطعن أحد بعد فى أن النازية أعدت هذا المصير الرهيب لعمال السخرة ، فكيف يمكن للمرء أن يوفق هذه الحقائق الثابتة مع الزعم القائل بأن مئات الآلاف من عمال السخرة اليهود ظلوا على قيد الحياة فى هذه المعسكرات . ألم ينتهك مؤتمر التعويضات الجدار الذى يفصل بين الحقيقة المروعة عن المحرقة النازية وبين إنكار الهولوكوست ؟

وفى إعلان على صفحة كاملة فى النيويورك تايمز ندد كبار القائمين على صناعة الهولوكوست أمثال إيلى ويزل ، الحاخام مارفن هير ، ستيفن ت . كاتز بإنكار سوريا للهولوكوست . وقد شجب المقال افتتاحية فى صحيفة سورية رسمية ذكرت أن اسرائيل اخترعت قصصا عن الهولوكوست للحصول على مزيد من الأموال من ألمانيا وغيرها من المؤسسات الغربية . ومن المؤسف أن التهمة السورية صحيحة . ومع ذلك ، تكمن السخرية ، التى ضاعت عند الجانبين الحكومة السورية والموقعين على الإعلان ، فى أن هذه القصص عن مئات الآلاف من الأحياء هى صورة من صور إنكار الهولوكوست .

ولقد كان ابتزاز سويسرا وألمانيا مقدمة فقط للخاتمة والحلقة الأخيرة من المسلسل: ألا وهى ابتزاز شرق أوروبا . إذ مع انهيار الكتلة السوفيتية ، بزغت أمال مغرية فى الموطن السابق ليهود أوروبا . وارتدت صناعة الهولوكوست عباءة ضحايا الهولوكوست الفقراء فقامت تسعى لابتزاز بلايين الدولارات من هذه البلدان الفقيرة .

وفى سعيها لتحقيق هذه الغاية بلا هوادة ولا رحمة ، أصبحت صناعة الهولوكوست هى الطرف الرئيسى فى تعبئة العداء للسامية فى أوروبا .

وقد نصبت صناعة الهولوكوست من نفسها المطالب الشرعى الوحيد بكافة الأرصدة الجماعية والفردية لجميع الذين هلكوا أثناء المحرقة النازية . وقال إدجار برونغمان أمام لجنة البنوك بمجلس النواب : لقد اتفقنا مع حكومة إسرائيل على تحويل الأرصدة التى ليس لها ورثة إلى المنظمة العالمية لتعويض اليهود . واتخذت صناعة الهولوكست من هذا " التفويض" ستارا فدعت دول الاتحاد السوفيتى سابقا إلى تسليمها جميع ممتلكات اليهود ما قبل الحرب أو تقديم تعويض مالى . ومع ذلك ، وخلافا لما حدث مع سويسرا أو المانيا قدمت هذه المطالب بعيداً عن أضواء النشر . ولم يرفض الرأى العام حتى الآن مسألة ابتزاز بنوك سويسرا ورجال الصناعة الألمان ، وقد ينظر بتعاطف أقل لابتزاز الفلاحين البولنديين الجائعين . وقد يبدى اليهود الذين فقدوا ذويهم أثناء المحرقة النازية نظرة متحيزة لأساليب المنظمة العالمية للتعويضات اليهودية، وربما يعتبر الادعاء بأنها الوريث الشرعى للذين هلكوا للاستيلاء على أرصدتهم أشبه بنبش القبور وسرقتها ، ومن ناحية أخرى ، لا تحتاج صناعة الهولوكوست إلى تعبئة رأى عام ، إذ تستطيع بمساندة من كبار المسئولين الأمريكيين ، أن تتغلب بسهولة على المقاومة الضعيفة للدول المقهورة والمغلوبة على أمرها .

وذكر ستيوارت ايزنستات أمام إحدى لجان مجلس النواب : لا بد من إدراك أن جهودنا لاسترداد الممتلكات الجماعية جزء لا يتجزأ من الميلاد الجديد للحياة اليهودية وإحيائها فى شرق أوروبا ، وفى زعمها " لإحياء الحياة اليهودية فى بولندا" ، تطالب المنظمة العالمية للتعويضات اليهودية بالوصاية على ستة آلاف من ممتلكات اليهود قبل الحرب بما فى ذلك تلك التى تستخدم حاليا كمستشفيات

ومدارس . وقد بلغ عدد اليهود فى بولندا قبل الحرب ٣,٥ ملايين نسمة ، وعددهم حاليا بضعة آلاف . فهل إعادة الحياة اليهودية يحتاج إلى بناء كنيسة أو مدرسة لكل يهودى بولندى ؟ وتطالب المنظمة أيضا بمئات الآلاف من قطع الأراضى البولندية التى تقدر قيمتها بعشرات البلايين من الدولارات ، وتقول مجلة جويش ويك : يخشى المسئولون البولنديون أن يؤدى هذا الطلب إلى إفلاس الدولة : وعندما اقترح البرلمان البولندى وضع حدود على التعويضات لتجنب الإعسار وعدم القدرة على الدفع ، استنكر إيلان شتينبرج من المؤتمر اليهودى العالمى هذا القانون وقال إنه أساسا " قانون مضاد لأمريكا" .

وشدد محامو صناعة الهولوكوست الضغط على بولندا ورفعوا قضية قانونية أمام محكمة القاضى كورمان لتعويض ضحايا الهولوكوست من الأحياء المسنين والضعفاء . وجاء فى لائحة الاتهام أن الحكومات البولندية فى فترة ما بعد الحرب واصلت خلال السنوات الأربع والخمسين الماضية سياسة طرد وإبادة تصل إلى حد الاستئصال ضد اليهود . وقفز أعضاء مجلس مدينة نيويورك إلى الحلبة بقرار جماعى يدعو بولندا إلى " إقرار قانون شامل ينص على إعطاء تعويض كامل عن الأرصدة التى ضاعت أثناء الهولوكوست بينما بعث ٥٧ من أعضاء الكونجرس (بزعامة عضو الكونجرس انتونى وينر من نيويورك) بخطاب إلى برلمان بولندا يطالب بتشريع شامل يعيد ١٠٠٪ من الممتلكات والأرصدة التى تم الاستيلاء عليها أثناء الهولوكوست . وجاء فى الخطاب : الأشخاص المعنيون تتقدم بهم السن يوما بعد يوم، يمضى الوقت سريعا لتعويض أولئك الذين تعرضوا للظلم والتعسف .

وأعرب ستيوارت ايزنستات فى شهادته أمام لجنة البنوك بمجلس الشيوخ عن استنكاره للسرعة التى تتم بها عمليات نزع الملكية فى شرق أوروبا وقال: ظهرت عدة مشكلات فى إعادة الممتلكات ، على سبيل المثال ، وفى بعض الدول عندما

حاول أشخاص أو جماعات المطالبة بإعادة الممتلكات ، كان يطلب منهم أحياناً السماح للمستأجرين الحاليين بالبقاء فترة أطول بايجار يخضع للرقابة . وقد أثار تأخر روسيا البيضاء فى الدفع غضب ايزنستات الذى قال أمام لجنة العلاقات الدولية فى مجلس النواب أن روسيا البيضاء متأخرة جداً فى تسليم ممتلكات اليهود قبل الحرب، ومتوسط الدخل للمواطن فى روسيا البيضاء ١٠٠ دولار شهرياً.

ولوحت صناعة الهولوكوست بسيف العقوبات الأمريكية لإرغام الحكومات المتعنتة على الموافقة . وناشد ايزنستات الكونجرس " رفع درجة تعويض الهولوكوست ، وإدراجه فى قائمة الشروط والمستلزمات لدول شرق أوروبا التى تسعى للانضمام إلى منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية ، منظمة التجارة العالمية " الاتحاد الأوروبى ، منظمة حلف شمال الاطلنطى ومجلس أوروبا ، فاذا تكلمتم فسوف ينصتون لكم ، وستصلهم الرسالة " . ودعا اسرائيل سينجر من المؤتمر اليهودى العالمى الكونجرس إلى " مواصلة النظر فى قائمة التسوق " للتأكد من أن كل دولة قد دفعت . وقال عضو الكونجرس جيلمان من لجنة العلاقات الدولية فى مجلس النواب : من المهم جدا أن تفهم الدول المعنية .. واستجابتها هى أحد المقاييس العديدة التى تقيم بها الولايات المتحدة علاقاتها الثنائية . وأثنى افراهام هيرشسون - رئيس لجنة التعويضات فى الكنيست الاسرائيلى وممثل اسرائيل فى المنظمة العالمية لتعويض اليهود - على اشتراك الكونجرس فى الابتزاز . وتحدث هيرشسون عن " صراعه " مع رئيس وزراء رومانيا فقال : طلبت منه ملاحظة واحدة وسط المنازعة فغيرت الجو ، وقلت له إننى خلال يومين سوف اشترك فى جلسة استماع فى الكونجرس ، فماذا تريد منى أن أخبرهم فى الجلسة ؟ وتغير الجو كله» . ويحذر محام عن الناجين والأحياء قائلا : لقد صنع المؤتمر اليهودى العالمى الهولوكوست ، وهو مذنب فى البعث البشع للعداء للسامية فى أوروبا .

وقال ايزنستات أمام الكونجرس : لولا الولايات المتحدة الأمريكية ، لما استمر سوى جزء بسيط - إن حدث - من هذه الأنشطة اليوم ، وفى تبريره للضغوط على شرق أووبا ، قال إن السمة المميزة للأخلاق " الغربية " هى " إعادة أو دفع تعويض عن الممتلكات الجماعية أو الفردية التى تم الاستيلاء عليها بصورة جائزة ، وبالنسبة للديمقراطيات الجديدة فى شرق أوروبا ، فان الوصول إلى هذا المعيار سوف يتم تعويضه فى الانتقال من الاستبدادية إلى دول ديمقراطية .

وايزنستات موظف كبير فى الحكومة الأمريكية وأحد كبار أنصار اسرائيل. ومع ذلك ، وبناء على مطالب وادعاءات الأمريكيين الأصليين والفلسطينيين لم تقم الولايات المتحدة ولا اسرائيل بعملية الانتقال هذه .

وفى شهادته أمام مجلس النواب ، عرض هيرشسون المنظر المؤلم لضحايا الهولوكوست الفقراء المسنين من بولندا وهم يأتون إلى مكتبه فى الكنيست يومياً .. لاستعادة ما لهم واسترداد البيوت التى رحلوا عنها والمحلات التى تركوها . . وشنت صناعة الهولوكوست معركة على جبهة أخرى ، فقد قامت الجماعات اليهودية المحلية فى شرق أوروبا بالمطالبة بأرصدة اليهود الذين لاورثة لهم رافضة بذلك التفويض الظاهرى للمنظمة العالمية للتعويضات اليهودية ، وللإفادة من هذه المطالبة، لا بد لليهودى من أن يتمسك رسميا بالجماعة اليهودية المحلية . ولذلك فان إنعاش الحياة اليهودية المأمول قد حدث باستفادة يهود شرق أوروبا من جذروهم التى اكتشفوها مؤخرا للحصول على نصيب من غنائم الهولوكوست .

وتتباهى صناعة الهولوكوست بتخصيص أموال التعويضات لخدمة القضايا اليهودية الخيرية ، إذ قال محام يمثل الضحايا الحقيقيين : الإحسان عمل نبيل من أعمال الخير ، ومن الخطأ استخدام أموال الآخرين لهذا الغرض . ويذكر ايزنستات : إن إحدى القضايا المفضلة تتمثل فى تعليم وثقافة الهولوكوست ، وهذا هو أعظم

تراث للجهود التى نبذلها . وهيرشسون مؤسس منظمة تدعى " زحف الأحياء " وهذه احدى محاور ثقافة الهولوكوست وإحدى المستفيدين الرئيسيين من أموال التعويضات ، وفى هذا المشهد المستوحى من مبادئ الصهوينية ، زحف آلاف من الشباب اليهودى من حول العالم على معسكرات الموت فى بولندا للتثقيف على الطبيعة والتعرف على نزعة الشر عند الأمميين قبل أن يذهبوا جواً إلى اسرائيل للنجاة والخلاص ، وتنشر مجلة جيروزاليم ريبورت هذه المادة الرديئة عن الهولوكوست : أنا مذعورة لا أستطيع أن أستمر ، أريد أن أكون فى اسرائيل .. وتردد هذه العبارة شابة من كونيكتيكوت وجسدها يهتز .. وفجأة يخرج صديقها علم اسرائيل .. وتلتف هى وصديقها بالعلم ويسير الإثنان معا .. العلم الاسرائيلى .. لا تغادر الوطن من دونه .

وفى كلمة أمام مؤتمر بواشنطن عن أرصدة عهد الهولوكوست ، يصف ديفيد هاريس من اللجنة اليهودية الأمريكية « الأثر العميق » للحاجة الى معسكرات الاعتقال النازية على الشباب اليهودى . وجاء فى صحيفة فوروورد حكاية مليئة بالرثاء .. وتحت عنوان .. شباب اسرائيل يمرحون مع العاريات بعد زيارة أوشويتز ، قالت الصحيفة إن الخبراء يرون أن طلبة الكيبوتس استأجروا العاريات للتخفيف من حدة العواطف المضطربة التى أثارتها الرحلة .. وأضافت الصحيفة إن نفس هذه المشاعر عذبت الطلبة اليهود أثناء زيارة ميدانية إلى المتحف التذكارى للهولوكوست فى أمريكا ، وكان الطلبة يركضون هنا وهناك وقد أمضوا وقتا رائعا وكانوا يشعرون ببعضهم البعض . فمن يستطيع أن يشكك فى حكمة قرار صناعة الهولوكوست بتخصيص أموال التعويضات لثقافة الهولوكوست وليس تبديدها (ناحوم جولدمان) على الناجين من معسكرات الاعتقال النازية .

وفى يناير عام ٢٠٠٠ شارك مسئولون من نحو خمسين دولة بينهم رئيس الوزراء الاسرائيلى إيهود باراك ، فى مؤتمر كبير عن ثقافة الهولوكوست فى ستوكهولم ، وأكد الإعلان الختامى للمؤتمر " المسئولية المقدسة " للمجتمع الدولى نحو محاربة شرور الإبادة والتطهير العرقى والعنصرية وكراهية الأجانب . وسأل مراسل سويدى باراك عن اللاجئين الفلسطينيين ، فأجاب إنه من حيث المبدأ فهو ضد قدوم أى لاجئ إلى اسرائيل ، نحن لا نقبل المسئولية الأخلاقية أو القانونية أو غيرها نحو اللاجئين .. والواضح أن المؤتمر حقق نجاحاً كبيراً.

وقد جاء فى النشرة الرسمية لمؤتمر التعويضات اليهودية « دليل إلى تعويض ضحايا الهولوكست » أسماء عشرات من المنظمات التابعة له ، وقد ظهرت بيروقراطية واسعة غنية . وهناك شركات تأمين وبنوك ومتاحف فنية ، وصناعة خاصة ، ومستأجرين ومزارعين فى كل دولة أوروبية تخضع لنفوذ صناعة الهولوكوست . ولكن ضحايا الهولوكوست الفقراء الذين تعمل هذه الصناعة باسمهم، يشكون بأنها تعمل لتثبيت مصادرة الممتلكات . وقد رفع كثيرون قضايا ضد مؤتمر التعويضات ، ومع ذلك فقد ينكشف أن الهولوكوست هى أكبر عملية سرقة وسلب ونهب فى تاريخ العالم .

والمعروف أنه عندما دخلت اسرائيل فى مفاوضات التعويضات مع ألمانيا بعد الحرب ، اقترح وزير الخارجية موشى شاريت تحويل جزء منها إلى اللاجئين الفلسطينيين هذا ما ذكره المؤرخ إيلان بابى ، وذلك " لتصحيح ما وصف بأنه الظلم الصغير " المأساة الفلسطينية " ، التى جاءت نتيجة " الهولوكوست الرهيب " . ولم يسفر ذلك الاقتراح عن شئ . واقترح أحد كبار الأكاديميين الاسرائيليين استخدام جزء من الأموال التى سيتم الحصول عليها من بنوك سويسرا والشركات الألمانية لتعويض اللاجئين الفلسطينيين ، ونظراً لأن معظم ضحايا المحرقة النازية قد قضوا نحبهم ، فهذا اقتراح معقول .

وعلى طريقة المؤتمر اليهودى العالمى أعلن اسرائيل سينجر خبراً مذهلاً فى ١٣ من مارس عام ٢٠٠٠ وهو أن وثيقة أمريكية رفعت عنها السرية مؤخراً كشفت النقاب عن أن لدى النمسا أرصدة يهودية لاورثة لها من عهد الهولوكوست تقدر بعشرة بلايين دولار أخرى . وقال سينجر أن ٥٠٪ من الفن فى أمريكا هو فن يهودى مسروق . لقد أصبحت صناعة الهولوكوست مسعورة .

الخـاتمـة

بعد أن استعرضنا وضع صناعة الهولوكوست وتأثيرها فى أوروبا يتبقى لنا أن نتناول أثرها فى الولايات المتحدة ، ولا بد فى هذا المقام من الإشارة إلى النقد الذى أثاره بيتر نوفيك حول هذا الموضوع .

وقد سمحت ١٧ ولاية وأوصت باستخدام برامج تتعلق بالهولوكوست فى مدارسها ، كما خصصت عدة كليات وجامعات كراسى جامعية فى دراسات الهولوكوست إلى جانب النصب التذكارية لضحايا هذه الفاجعة . ولا يكاد يمضى أسبوع من دون أن تنشر النيويورك تايمز قضية رئيسية تتصل بهذا الموضوع . ويقدر عدد الدراسات العلمية المخصصة للحل النهائى النازى بأكثر من عشرة آلاف ولنقارن ذلك بالمنح الدراسية الخاصة بالمجزرة التى حدثت فى الكونجو ، إذ فى الفترة بين عامى ١٨٩١-١٩١١ هلك نحو ١١ مليون إفريقى فى عملية استغلال أوروبا ثروات العاج والمطاط فى الكونجو ومع ذلك لم ينشر أول مجلد علمى بالانجليزية حول هذا الموضوع مباشرة إلا منذ عامين (شبح الملك ليوبولد لآدم هوتشايلد .. بوسطن ١٩٩٨) .

وبالنظر لوجود عدد كبير من المؤسسات والمهنيين الذين يهتمون بالحفاظ على ذكرى الهولوكوست ، أصبحت هذه الظاهرة راسخة الأقدام فى الحياة الأمريكية . ومع ذلك يعبر نوفيك عن شكوكه عما إذا كان هذا شيئاً حسناً ويستشهد فى المقام الأول بأمثلة عديدة عن الابتذال والفساد والحطة التى تحيط بها . وفى الحقيقة ، يحاول المرء جاهدا أن يذكر قضية سياسية واحدة لم تستغلها الهولوكوست سواء كانت مؤيدة للحياة أو للخيار ، حقوق الحيوان أو حقوق الدول . ويندد إيلى ويزل بالأهداف المزخرفة التى يستخدم الهولوكوست لتحقيقها ، ويقول : أقسم أننى سوف

أتجنب الجوانب السوقية المبتذلة . ومع ذلك يقول نوفيك إن أكثر الصور البارعة والماكرة للهولوكوست التى نشرت عام ١٩٩٦ عندما ظهرت هيلارى كلينتون - التى كانت تتعرض لحملة عنيفة بسبب سوء تصرفاتها - فى بهو مجلس النواب أثناء خطاب زوجها إلى الأمة (عبر شاشات التليفزيون) ومن حولها ابنتهما تشيلى وإيلى ويزل . وبالنسبة لهيلارى كلينتون فإن اللاجئين من كوسوفو الذين أرغمهم الصرب على الهرب من ديارهم اثناء القصف من حلف شمال الأطلنطى يذكروننا بمشاهد الهولوكوست فى كتاب شيندلر «القائمة» . ويقول أحد المنشقين الصربيين : إن الذين يتعلمون التاريخ من أفلام سبيلبرج، لا يجب عليهم أن يعلمونا كيف نعيش حياتنا.

ويقول نوفيك إن «التظاهر بأن الهولوكوست عبارة عن ذكرى أمريكية ، هو تهرب أخلاقى ، يقودنا إلى التهرب من المسئوليات التى يتحملها الأمريكيون وهم يواجهون ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم» . وهو يعرض نقطة مهمة، فاستنكار جرائم الآخرين أسهل من استنكار الجرائم التى نرتكبها نحن . وصحيح أيضاً أنه لو كانت هناك إرادة لاستطعنا أن نعرف الكثير عن أنفسنا من التجربة النازية . ورؤية المستقبل توقعت جميع العناصر الايديولوجية والبرامجية لسياسة هتلر التوسعية . فى الواقع ، لقد وضع هتلر غزوه للشرق على أساس الغزو الأمريكى للغرب . ففى خلال النصف الأول من القرن الحالى ، أصدرت غالبية الولايات المتحدة قوانين تعقيم وتطهير وتم تعقيم عشرات الآلاف من الأمريكيين رغما عنهم . وقد أشار النازى بوضوح إلى هذه السابقة الأمريكية عندما وضعوا قوانين التعقيم والتطهير الخاصة بهم . فقد جردت قوانين نورمبرج الشهيرة عام ١٩٣٥ اليهود من حق الانتخاب ومنعت التزاوج بين اليهود وغير اليهود ، وعانى السود فى الجنوب الأمريكى من نفس الحرمان من الأهلية القانونية والشرعية وتعرضوا لعنف شعبى تلقائى أكثر مما تعرض له اليهود فى ألمانيا قبل الحرب .

وللكشف عن الجرائم فى الخارج ، تشير الولايات المتحدة إلى ذكريات الهولوكوست . ومع ذلك ، فالنقطة التى توضح الصورة تماما هى عندما تسترجع الولايات المتحدة هذه الذكرى . وتذكرنا جرائم الأعداء الرسميين مثل حمامات الدم التى ارتكبها الحمر فى كمبوديا وتلك التى حدثت نتيجة الغزو السوفيتى لأفغانستان والغزو العراقى للكويت والتطهير العرقى الصربى فى كوسوفو ، بالهولوكوست ، أما الجرائم التى تشارك فيها الولايات المتحدة فلا تذكرنا بذلك .

وفى الوقت الذى كانت ترتكب فيه فظائع الحمر فى كمبوديا ، كانت الحكومة الإندونيسية التى تدعمها الولايات المتحدة تذبح ثلث السكان فى تيمور الشرقية ، وعلى خلاف كمبوديا لا تقارن الإبادة فى تيمور الشرقية مع الهولوكوست ، بل لا ترقى إلى حد التغطية الإخبارية التى حظيت بها الهولوكوست . وبينما كان الاتحاد السوفيتى يرتكب ما وصفه مركز سيمون ويزنتال بأنه «إبادة أخرى» فى أفغانستان، كان النظام الذى تدعمه الولايات المتحدة فى جواتيمالا يقترف ما وصفته لجنة الحقيقة الجواتيمالية مؤخرا بأنه «إبادة» ضد السكان المايان الأصليين . ووصف الرئيس ريجان الاتهامات ضد حكومة جواتيمالا بأنها «اتهامات غير صحيحة» . وتكريما لإنجازات جين كيركباتريك كأكبر مدافع فى حكومة ريجان عن كشف الجرائم فى أمريكا الوسطى ، منحها مركز سيمون ويزنتال جائزة حب الإنسانية السنوية . وقد طلب من سيمون ويزنتال قبل حفل الجائزة إعادة النظر فى منح الجائزة فرفض، وطلب من ايلى ويزل التدخل لدى الحكومة الإسرائيلية ، أحد الموردين الرئيسيين للسلاح للجزارين فى جواتيمالا ، فرفض أيضاً . وقد أشارت حكومة كارتر إلى ذكرى الهولوكوست فى سعيها لإيجاد ملاذ للفيتناميين «لاجئو الزوارق» الهاربين من النظام الشيوعى . ونسيت حكومة كلينتون الهولوكوست وهى ترفض السماح بالدخول «للاجئى الزوارق» من هاييتى الهاربين من فرق الإعدام التى تؤيدها الولايات المتحدة .

وقد كانت ذكرى الهولوكوست تلوح فى الأفق عندما كانت قوات حلف شمال الأطلنطى بقيادة الولايات المتحدة تقصف الصرب ابتداء من ربيع عام ١٩٩٩ . ورأينا كيف قارن دانيال جولدهاجن بين جرائم الصرب ضد كوسوفو وبين الحل النهائى، وبناء على إيعاز من الرئيس كلينتون قام إيلى ويزل بزيارة الى معسكرات اللاجئين من كوسوفو فى مقدونيا والبانيا . وقبل أن يذرف ويزل الدموع أسى وحزنا على أبناء كوسوفو ، استأنف النظام الاندونيسى الذى تسانده الولايات المتحدة ما كان قد توقف عنده فى أواخر السبعينات ، وهو ارتكاب مجازر جديدة فى تيمور الشرقية . ومع ذلك ، يمكن القول أن الهولوكوست اختفت من الذاكرة عندما أذعنت الحكومة الأمريكية لإراقة الدماء . وقال دبلوماسى غربى : اندونيسيا تهمنا أما تيمور الشرقية فلا تهمنا .

ويتحدث نوفيك عن مشاركة الولايات المتحدة السلبية فى كوارث إنسانية غير متشابهة فى جوانب أخرى ومع ذلك يمكن مقارنتها من حيث المدى مع عمليات الإبادة النازية . ويشير إلى ملايين الأطفال الذين قضوا نحبهم فى الحل النهائى فيقول إن رؤساء أمريكا لم يفعلوا أكثر من التفوه بكلمات الرثاء والشفقة باعتبار أن أكثر من هذا العدد من الأطفال يموت فى العالم بسبب سوء التغذية والأمراض التى يمكن الوقاية منها كل عام . وفى وسع المرء أن يذكر قضية ذات صلة تدل على التواطؤ الأمريكى الفعلى ، إذ بعد أن دمرت قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة، العراق عام ١٩٩١ لمعاقبة «صدام - هتلر» ، فرضت الولايات المتحدة وبريطانيا عقوبات دولية آثمة على بلد لاحول له ولاقوة فى محاولة للإطاحة به . وكما حدث فى المحرقة النازية ، يحتمل أن يكون قد هلك مليون من الأطفال فى هذه العملية. وسئلت وزيرة الخارجية مادلين أولبرايت على شاشات التليفزيون الأمريكى عن عدد القتلى الرهيب فى العراق فأجابت «إن الثمن يستحق ذلك» .

ويذكر نوفيك أن فظاعة الهولوكوست يحد بصورة خطيرة من قدرته على تقديم دروس يمكن تطبيقها فى عالمنا اليومى . وكمعيار للقمع والفظاعة والوحشية ، فهو يهمش الجرائم الأقل ضخامة ولايقارن بها . ومع ذلك فالمحرقة النازية يمكن ان تجعلنا نشعر بهذه الجرائم . فإذا نظرنا إليها من خلال أوشويتز - فإن ما كان يعتبر شيئا مسلما به فى الماضى - وهو التعصب الأعمى ، لم يعد صالحا لنقبل به . فى الواقع إن المحرقة النازية هى التى شوهت العنصرية العلمية التى كانت إحدى سمات الحياة الفكرية الأمريكية قبيل الحرب العالمية الثانية .

وبالنسبة للذين يلتزمون بخير الإنسان وإصلاحه ، فإن وسيلة الشر لاتستبعد بل تدعو إلى المقارنة . لقد احتل الرق والعبودية المكان ذاته فى عالم الأخلاق فى أواخر القرن التاسع عشر مثلما تفعل المحرقة النازية اليوم . ولذلك نحن نذكرها لتوضيح الشرور التى لاتحظى بتقدير كامل . وقد قارن جون ستيوارت ميل وضع المرأة فى تلك المؤسسة ، فى العصر الفيكتورى المقدس - الأسرة - بالرق والعبودية . بل قال إنه فى بعض الأحوال أسوأ «انا لا أزعم ان معاملة الزوجات عموما أفضل من معاملة العبيد ، ولكن لايوجد إلى هذه الدرجة عبد ، وبكل ما تحمله هذه الكلمة من معان كالزوجة . وهذه المقارنة تثير فقط ذعر الذين يستخدمون معيار الشر ليس كمقياس أو مؤشر أخلاقى وإنما كأداة إيديولوجية . ودعاة الابتزاز الأخلاقى يستخدمون صيغة معروفة وهى «لاتقارن» أو (دعك من المقارنة) .

واستغلت المنظمات اليهودية الأمريكية المحرقة النازية لإبعاد النقد لإسرائيل وسياساتها التى لايمكن الدفاع عنها من الناحية الأخلاقية . وأدى اتباع هذه السياسات إلى وضع إسرائيل ويهود أمريكا فى موقف متطابق تماما : فمصير الطرفين يرتبط الآن بخيط دقيق يمتد إلى الصفوة الحاكمة الأمريكية . فإذا حدث وقررت هذه الصفوة أن إسرائيل نقطة ضعف أو أنها تستطيع الإستغناء عن يهود أمريكا ، فقد ينقطع الخيط . وهذا ولاشك مجرد تكهن ، يحتمل أن يثير المخاوف ، ويحتمل ألا يكون كذلك .

ومع ذلك فالتنبؤ بموقف الطبقة الراقية اليهودية الأمريكية اذا حدثت هذه الوقائع والاحتمالات ، أمر سهل للغاية . فإذا غضبت الولايات المتحدة على إسرائيل ، فالعديد من الزعماء الذين يدافعون عنها بقوة الآن سوف يعلنون سخطهم ونفورهم من الدولة اليهودية ويندون بيهود أمريكا لأنهم حولوا إسرائيل إلى عقيدة . وإذا ما ارتأت الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة اتخاذ اليهود كبش فداء ، فلن يدهشنا إذا ما حذا زعماء يهود أمريكا حذو أسلافهم اثناء المحرقة النازية . ويذكر إسحق زوكرمان - منظم ثورة غيتو وارسو - :

«لم نكن نتصور أن يستخدم الألمان العنصر اليهودي ، وأن اليهود سوف يسوقون أبناء جلدتهم إلى الموت» .

وفي سلسلة من المقابلات العامة في الثمانينات ، عارض كثير من كبار العلماء الألمان وغير الألمان «السكوت على» فظائع النازية خوفا من أن يؤدي ذلك إلى صورة من الرضا الأخلاقي . ومهما كانت سلامة هذه الحجة ووجاهتها في ذلك الحين، فانها لم تعد تنطوي على شيء من الإقناع . فالأبعاد المروعة للحل النهائي الذي استخدمه هتلر معروفة الآن . ألا يزخر التاريخ «العادي» للإنسانية بفصول بشعة من الأفعال غير الإنسانية والوحشية : فالجريمة لاينبغي أن تكون شاذة وغير مألوفة للتكفير عنها . فالتحدي أمامنا اليوم هو إعادة المحرقة النازية كموضوع معقول ومنطقي للبحث والتمحيص ، عند ذلك نستطيع فعلا أن نتعلم منها . ولا تأتي غرابة وشذوذ هذه المحرقة من الحدث نفسه بل من صناعة الاستغلال التي قامت حولها . فصناعة الهولوكوست دائما مفلسة ، فماذا تبقى لكي نقول علنا أنها مفلسة الآن . كان من الواجب إيقاف هذه الصناعة منذ وقت طويل . ولعل أنبل لفتة نظهرها نحو الذين هلكوا هي أن نحافظ على ذكراهم ونتعلم من آلامهم ومعاناتهم ثم نتركهم في النهاية يرقدون في سلام .

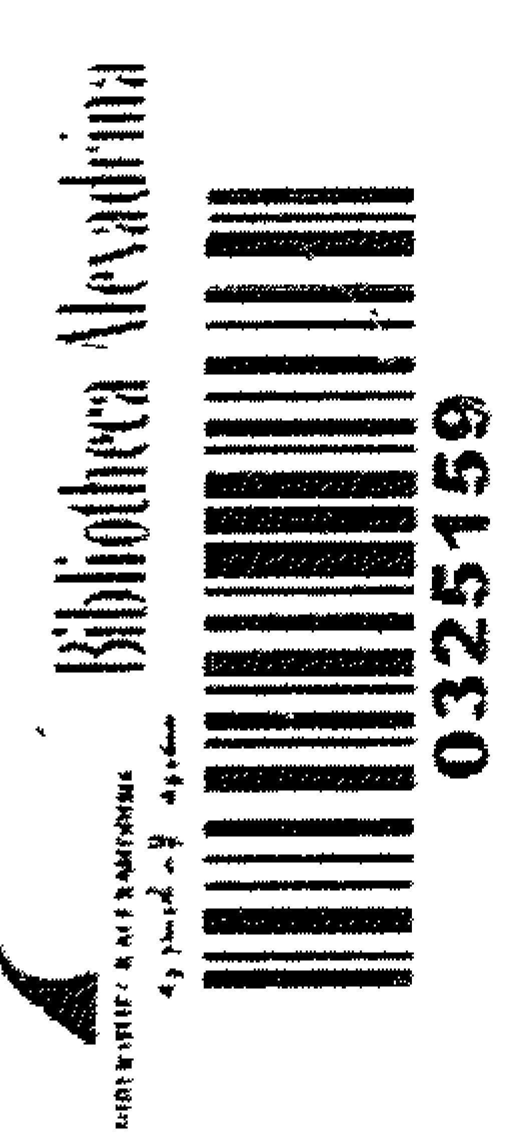






٢٠٠١

31
7



مطابع الهيئة العامة للاستعلامات